*** تراث الرواية العربية ***

-٦-

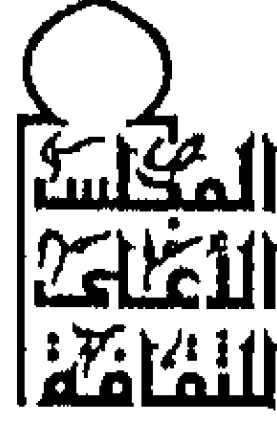
# القلوب المتحدة في الولايات المتحدة

## سليم سركيس

تقديم ودراسة : محمد سيد عبد التواب

المجلس الأعلى للثقافة

إهـــــــداء ٢٠١٠
دار الكتب و الوثائق القومية
**جمهورية مصر العربية**




*** تراث الرواية العربية ***

- ٦ -

# القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة

تأليف

سليم سركيس

تقديم ودراسة

محمد سيد عبد التواب

المجلس الأعلى للثقافة

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سركيس ، سليم
القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة (تراث الرواية العربية) :
تأليف / سليم سركيس. تقديم ودراسة / محمد عبد التواب
القاهرة ؛ المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢ ، ٢٠١٠
٢٧٢ ص، ٢٤ سم
١ – القصص العربية
( أ ) عبد التواب ، محمد سيد (مقدم ودارس)
(ب) العنوان ٨١٠,٩٨٢

رقم الإيداع : ٢٠١٠ / ٢٧٤٧
الترقيم الدولى: 9 - 844 - 479 -977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأى المجلس.



شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٢٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
**Tel.:** 27352396 **Fax:** 27358084
www.scc.gov.eg

## تقديم :

قرنان من الزمان والسؤال ما زال إشكاليًا: كيف تكون علاقتنا مع الغرب ؟ كيف نتأثر ونؤثر فيه ؟

ربما يمكننا القول بأنه لم يواجه العرب خلال القرنين الماضيين مسألة أشد تعقيداً وحيرة من هذا السؤال وتنويعاته المختلفة. فثمة علاقة جريحة (تاريخية) بالفعل بين الشرق والغرب، بدأت من الحروب الصليبية وصولاً إلى أكثر من قرن ونصف من الاستعمار فى القرنين التاسع عشر والعشرين، انتهاء بزرع كيان استيطانى كولونيالى (إسرائيل) فى قلب العالم بالإضافة بالطبع إلى تدمير العراق سنة ٢٠٠١.

الذكريات إذن ما تزال حية، دامية، محرقة، والمشاعر ما تزال متأججة، فزوال الاستعمار بشكله الاستيطانى والاحتلال المباشر، لا يغير كثيرًا من طبيعة العلاقات بين المستعمِر السابق والمستعمَر السابق " حسب جورج طرابيشى "[١] لأن التقدم التكنولوجى المذهل، قد وضع فى يد الغرب إمكانية تشكيل العالم، وإعادة تفكيكه ومن ثم ترتيبه بما يتناسب مع المصالح الذاتية لهذا الغرب لا سيما من خلال الثورة المعلوماتية ووسائل الاتصال الحديثة التى تصب على رؤوس

---

(١) راجع: جورج طرابيشي: شرق وغرب / دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ١٩٩٧، ص١٠٠

الشعوب شلالاً متدفقا من القيم وأنماط السلوك الاستهلاكى السلعى (الصنمى) والتى تحاول أن تشكك بأهمية القيم السائدة فى تلك المجتمعات.

كل ذلك جعل العالم يعيش الآن على حافة بركان أو ما يمكن أن نسميه زمن المواجهة الحضارية وتحديدًا بين النموذج الأمريكى المسيطر والمستبد والاستغلال الاقتصادى الإمبريالى الجديد وغير المباشر الذى ما زال يقوم بنفس دور الاسترقاق الكولونيالى المباشر.

إنه الاستعمار الجديد حسب "جابر عصفور"(١) سلاحه الاقتصاد لا قمع السلاح، وأداته الهيمنة على الوعى المؤدلج، الوعى المزيف المخدوع الذى يبقى ضحاياه فيما يشبه الرمال المتحركة التى تبتلعهم بعد طول أو قصر مقاومة.

وليس من الغريب والأمر كذلك أن تظل العلاقة مع الغرب فى التباس دائم بين مد الحروب وجزر التثاقف. ويذهب رشيد العنانى فى كتابه المهم "تصورات العرب عن الغرب" فى الرواية العربية، إلى أن الإشكالية التى واجهت المثقفين العرب والمجتمعات العربية على نطاق أشمل هي: الغرب هو المستعمر الباطش، مسير الجيوش الطامعة فى جغرافيا المنطقة، ومطلق الحضارة المحدثة لتاريخها والناهب لخيراتها بلا حساب.

لكن الغرب هو أيضًا مصدر الحداثة والعلم والمعرفة والتقنية والتنظيم السياسى والاجتماعى الحديث، ففى عواصمه تصنع السياسات الكبرى التى شكلت وجه البلدان العربية وتحكمت وما زالت فى حاضرها، فى مدنه وجامعاته وجمعياته انتشر قوميو

---

(١) جابر عصفور، تغريدة البجعة، مجلة الثقافة الجديدة، ٢٠٠٨، ص٥ .

العرب، ويساريوهم، وإسلاميوهم، وملكيوهم وجمهوريوهم، كلاً اتخذ هذه الحقبة الزمنية أو تلك موقع قدم أو منبر صحيفة أو مقر حزب.

والغرب من جهته حاول أن يقدم نفسه: قوة، حضارة، حداثة ... والآخرون رأوا فيه ما أراد هو أن يروه فيه ــ فى مرحلة أولى على الأقل ــ مرحلة الدهشة أو ما سمى الصدمة الحضارية، قبل أن يتم الوعى به والبحث عن الموقف الواجب اتخاذه إزاءه.

والغرب ــ نفسه ــ رأى فى الشرق ما أراد هو أن يراه: شرق ألف ليلة وليلة، بصخب الأسواق، والتصرفات الصبيانية الساذجة، والألوان الزاهية الفاتنة ...(١)

وفى الحالين كان الغرب هو الذى يحكم، يقدم نفسه، ويقدم رؤيته عن الآخرين، فهو العين التى تنظر وتحاكم كما ذكر ذلك د.ج. كونراد فى كتابه "تحت أعين الغرب".

بل إن هذا الغرب، قد نجح فى أن يجعل من نفسه الإطار المرجعى الذى يقاس به التقدم والتخلف، الصحيح والفاسد... وهذا ما أكدته كتابات إدوارد سعيد العديدة وتحديدا فى كتابه الإستشراق يقول: لقد أنشأ الغرب مفهوم الشرق بعيدًا عن معطيات الواقع والتاريخ.

إذن فالعلاقة مع الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى القرن الحالى كانت وما زالت ملتبسة وحائرة بين خيارات ثلاثة: الاتباع المطلق، والرفض المطلق، والاقتباس الانتقائي. مثقفو العرب ــ وتلتهم بقية شرائح المجتمعات ــ وقفوا بين داعية إلى انتهاج نهج

---

(١) راجع: محمد راتب الحلاق: نحن والآخر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص٣٤ .

الغرب وتقليده نصا وممارسة وداعية إلى قطيعة تامة ترفع دروع المناعة الثقافية، وداعية إلى اقتباس ما يتوافق وترك ما لا يتوافق مع الأصالة والهوية والتراث.

ومن هذا المنطلق تمثلت أهمية إعادة نشر هذه الرواية التى بين أيدينا "القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة " التى كتبها سليم سركيس عام ١٩٠٤م، لا لأنها تناولت موضوعًا فرض نفسه وما يزال على مجتمعاتنا العربية وإنما ميزتها الأولى أنها كتبت بلغة الحضور، فكاتب الرواية قد عايش أحداثها، يقول فى مقدمة الرواية... فأنا أول من وضع فى كتاب عربى حادثة حب واضطهاد حقيقية من أولها إلى آخرها لا أخفى الأسماء والأماكن بل أصور الحوادث كما حدثت.(١)

ففى جل الدراسات التى تناولت هذه القضية دائما تبدأ برواية "عصفور من الشرق" الصادرة عام ١٩٣٨ على اعتبار أنها الرواية العربية الأولى التى عالجت موضوع العلاقات بين الشرق والغرب.(٢)

وجدير بالذكر أن هناك محاولات روائية مهمة كتبت من منتصف القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين تناولت هذه القضية بكثير من العمق.

---

(١) القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة: ص٥ .

(٢) راجع معظم الدراسات النقدية التى أرخت لهذه القضية جورج طرابيشى:" شرق وغرب"، محمد نجيب التلاوى:" الذات والمهماز"، وعصام بهى:" الرحلة إلى الغرب فى الرواية العربية " ...

وتأتى رواية "وى إذن لست بإفرنجى" التى كتبها خليل أفندى الخورى سنة ١٨٥٨ لتتصدر قائمة الروايات العربية بغير منازع فهى ليست الرواية العربية الأولى فحسب وإنما تأتى أهميتها من أنها تنفرد بكونها أول رواية عربية تعالج موضوع العلاقة بين الشرق والغرب، وبالطبع هناك إشارات مهمة إلى لتلك القضية فى إنتاج أدباء في تلك المرحلة مثل عبد الرحمن الجبرتي، أحمد فارس الشدياق، ورفاعة الطهطاوي، محمد بيرم التونسي، نيقولا الترك، وفرنسيس المراش، وعلى مبارك، وعفيفة كرم، وفرح أنطون، محمد المويلحى، سليم سركيس.

## الشرق/ الغرب
## (زيف المصطلح)

ربما كانت ثنائية الشرق/ الغرب من أكثر العبارات تداولاً فى الخطاب العربى الحديث والمعاصر وإن نابت عنها ثنائيات أخرى مثل الأصالة/ المعاصرة، نحن/ الآخر، الداخل/ الخارج، الذات/ الآخر، إلى ما هنالك من ثنائيات تكاد تكون متكافئة الدلالات.

والشرق اسم أطلقه الأوربيون الكاثوليك، على البلاد التى كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية، منذ أن انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطريها المعروفين ومن ثم أطلقه الأوربيون على بلاد الإسلام فيما بعد.

وكان مدلول هذا المصطلح يضيق، فلا يشمل إلا سوريا، ومصر، وبلاد الرافدين، ويتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية، وفارس، وتركيا، ثم امتد فى مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليها من بلدان آسيا.

إلا أن المقصود بالشرق غالبًا: الشرق الأصلى "التقليدى القديم"، الذى كان الجار والمنافس لأوربا اليونانية والرومانية، ثم لأوربا المسيحية، منذ أن قامت جيوش أحد كبار الأكاسرة الفرس باحتلال اليونان، إلى أيام انسحاب مؤخرة جيوش العثمانيين.

ونظرًا إلى اتساع الرقعة، وتنوع الحضارات والثقافات، قُسم هذا الشرق إلى مشارق(*) شاعت أسماؤها لا سيما بعد الاكتشافات

(*) مشارق: الشرق الأدنى ـ الشرق الأوسط ـ الشرق الأقصى

الجغرافية: فتعبير الشرق الأدنى، الذى بدأ استعماله أواخر القرن الماضي، كان يعنى المناطق الواقعة فى جنوب شرق أوربا، والخاضعة للدولة العثمانية، فقد كان أدنى جغرافيا ومعنويا، لأنه كان أوربيًا ومسيحيًا ولكنه كان شرقًا كذلك، لأنه ما زال تحت حكم العثمانيين، وإن كان الأمريكيون قد وسعوا مدلول "الشرق الأدنى" ليشمل مناطق أكثر امتداداً نحو الشرق فى "أوربا وآسيا وإفريقيا" وابتداء من عام ١٩٠٢ شاع استخدام مصطلح "الشرق الأوسط"، الذى استخدمه لأول مرة ضابط البحرية الأمريكية والمؤرخ صاحب نظرية القوة البحرية فى التاريخ "ألفريد ماهان"(١) .

ومن المفارقات الغريبة أننا بتنا نستخدم هذا المصطلح السياسى الغربي، الخاوى من أية علاقة تربطنا به، والذى وجد فيه ساسة أوربا الفرصة التى تجنبهم استخدام اسم الوطن العربى، أو المنطقة العربية، لأن الشرق الأوسط ـــ بعرفهم ـــ يضم فسيفساء من الأقوام والشعوب والأديان، وليس فيه مجال للوحدة والانسجام.

فالتسمية ليست نابعة من خصائص طبيعية للمنطقة، ولا من خصائص اجتماعية أو بشرية أو اقتصادية، بل هى تسمية سياسية غربية رأسمالية، تستقطب دولا غير عربية، وتستبعد دولاً عربية، ولا تجد حرجًا بعد ذلك من أن تمنح بطاقة عضوية "لإسرائيل" لتكون أحد أعضاء نادى الشرق الأوسط الفاعلين.

فضلاً عما فى هذه التسمية من إقرار ضمنى لمفهوم المركزية الأوربية للعالم، وهى رؤية مفعمة بعنصرية لأنها تعتبر نفسها قلب العالم قديمه وحديثه، ولذلك تسمى المناطق تبعًا لمركزيتها.(٢)

---

(١) لويس برنارد: الغرب والشرق الأوسط، ترجمة د. نبيل صبحي، د.ت ص١ .
(٢) راجع: محمد نجيب التلاوى:" الذات والمهماز " مرجع سابق، ص٧ .

أما الغرب فهو الاسم الطبيعى لمواجهة الشرق، لقد اعتدنا نحن الأوربيين منذ مدة، أن نطلق على مجموعة البلاد التى ننتمى إليها اسم الغرب، ولم يعد هذا التعبير يعنى وضعًا جغرافيا خالصا بقدر ما يعنى كيانًا ثقافيًا واجتماعيًا وسياسيا وعسكريا.(١)

وفى الشرق الأوسط لم يستعمل تعبير الغرب بمعنى الكيان السياسى والثقافى إلا منذ مدة قريبة وربما يكون قد بدأ استعماله فى الوقت الذى راج فيه تعبير الشرق الأوسط، فلم يعد الشرق والغرب اتجاهين على الأرض، بل أصبحا بالضبط تحديدين ميتافيزيقيين.(٢)

فالشرق والغرب بالمعنى المتداول لهما، مصطلحان لا يعنيان شيئًا من الناحية الجغرافية إذًا، فلا الوطن العربى يقع شرق أوربا ولا أوربا كتحصيل حاصل تقع غرب الوطن العربى وهذا ما يمكن أن يكتشفه بسهولة كل من يستطيع تهجئة الخرائط الجغرافية ما لم تكن الخرائط المتداولة قد تواطأت على خطأ شائع، فالشرق والغرب فى نهاية المطاف مصطلحان جغرافيان يراد بهما أشياء غير جغرافية.(٣)

---

(١) لويس برنارد: الغرب والشرق الأوسط، ترجمة د. نبيل صبحى، د. ت ص٣٤ .

(٢) عبد الله العروى: الإيديولوجية العربية المعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٨١، ص٨

(٣) تجدر الإشارة إلى اننى اعتمدت فى المعلومات السابقة على ما أورده محمد راتب الحلاق فى كتابه المهم "نحن والآخر" منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧، ص٣٦ وما بعدها.

## القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة
## ١٩٠٤
## البحث عن الذات فى الغرب

ولئن انتمى "سليم سركيس"(*) إلى كتاب مرحلة النشأة الروائية، فهو فى هذه الرواية يضع السنن الأولى للرواية الواقعية التسجيلية بالمعنى الحرفى لها.

وفى كتاب "موير" "بناء الرواية" يحدد الخصائص الفنية للرواية التسجيلية على النحو التالى: التوازى بين الزمان والمكان فيذكر أن الزمان فيها ليس واضحًا من خلال الشخصيات، بل هو عام وعادى وسرعته لا تفرقها وحدة الحدث، بل إنه على النقيض يجرى فى انتظام رتيب خاص خارج عن الشخصيات غير متأثر بها، فنمو الشخصيات ينحصر فى نمو أعمارها...(١)

---

(*) سليم سركيس: (١٨٦٩ ــ ١٩٢٦ ) ولد فى بيروت فى عائلة صحفية، ورث عنها حبه للأدب والصحافة، فوالده هو شاهين سركيس كان صحفيًا وعمه خليل سركيس صاحب جريدة " لسان الحال " البيروتية يعد من أعلام الصحافة فى لبنان، وبعد أن تخرج فى المدرسة الوطنية اتجه نحو الصحافة وتنقل بين درجاتها، وفى سنة ١٨٩٢ غادر سليم سركيس لبنان لأنه لم يقو على تحمل مضايقات المكتبوجى (مراقب المطبوعات) وسافر إلى باريس حيث التقى بأمين ارسلان فأصدر معهم جريدة كشف النقاب وبث فيها بعض ما كان يضيق به صدره من مظالم الحكم التركى . وانتقل إلى لندن وأنشأ فيها جريدة رجع الصدى ولكنها لم تعمر طويلاً وعاد إلى مصر واصدر فيها جريدة المشير التى أثارت غضب الدولة العلية، فحكمت عليه بالإعدام غيابيا، ثم رحل إلى أمريكا وأصدر "الراوى والبستان" ثم عاد إلى مصر فأصدر "مرآة الحسناء" سنة ١٨٩٦ وأصدر مجلة سركيس وظل يصدرها إلى آخر حياته أعتمدت فى ترجمة حياته على شيخو: الآداب العربية فى الربع الأول من القرن العشرين، محمد يوسف نجم: القصة فى الأدب العربى الحديث .

(١) راجع إدوين موير "بناء الرواية " ص٩٣، نقلاً عن محمد حسن عبد الله فى الواقعية فى الرواية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١، ص٣٠١ .

وفى حقيقة الأمر فإن سليم سركيس لا يترك فرصة داخل أحداث الرواية إلا ويورد بعض الإشارات المرجعية سواء من الصحف أو الصور الشخصية لأبطال الرواية، وبالطبع كانت واقعية وحقيقية حصل عليها المؤلف من أصحابها، فإجمالى عدد الصور التى أوردها فى الرواية (٢٤صورة) تتوزع بين الشخصيات والأماكن والأحداث.

يقول فى مقدمة الرواية:" إذا كان جامع الحوادث فى كتاب واحد ومرتبها على شكل موافق لحدوثها يدعى مؤلفًا فأنا مؤلف هذا الكتاب وإلا فأنا راوى حادثة جرت سمعتها نتفًا مختلفة فدونتها كما سمعتها ولا فضل لى إلا فضل ترتيبها وفى الحالين حال التأليف وحال الرواية فأنا أول من وضع فى كتاب عربى حادثة حب واضطهاد حقيقية من أولها إلى آخرها لا أخفى الأسماء والأماكن بل أصور الحوادث كما حدثت ".(١)

فالرواية إذن أشبه بترجمة حياة جحا(*) الشاب اللبنانى الذى هاجر إلى الولايات المتحدة للاتجار، وأحب " إليصابات " ابنة أحد أغنياء المدينة، وبعد العقبات الكثيرة والصعوبات التى وضعها إخوتها ينجح الحب ويتزوجان.

ويصور سليم سركيس هذه الصعوبات على النحو التالى إذ يقول: "فإن الابنة الأمريكية لما أحبت الشاب السورى لقيت من إخوتها وعائلتها وسائر معارفها معارضة شديدة بلغ من شدتها أنها كانت عرضة للاضطهاد والمضايقة وكانت فى خطر الموت والإبعاد لأنهم حسبوا أن السورى راغب فى ثروتها الواسعة فقط ولكن صبر

---

(١) سليم سركيس: القلوب المتحدة فى الولايات المتحدة، المقدمة .

(*) اسم البطل " إسبيرديون جحا " ونظرًا إلى طول الاسم فإننا سنورد اللقب .

الشاب واحتماله العذاب والسجن والاضطهاد وتعرضه لخطر الموت والأحكام الصارمة وفوزه أخيرًا بإدراك آماله هو أعظم برهان على أن المحبة كانت متبادلة بين الاثنين وأنها بنيت على أساس أفضل من المال.(١)

وفى إشارة مهمة لـــ "محمد التلاوى" عن الصراع الروائى للمواجهة الحضارية بين الشرق والغرب، لم يخرج فى جل الروايات عن معادلتين هما :

الذات (فرد) ـــــــــــــــــ الآخر (جمع)../ فضاء الآخر

الآخر (فرد) ـــــــــــــــــ الذات (جمع)../ الذات

وطبيعة الصراع ونتائجه وقوته وضعفه اختلفت باختلاف المعادلتين وباختلاف طبيعة وخصوصية المواجهتين.

ففى المعادلة الأولى الذات/ الشرق (فرد) ← فى مواجهة ← جمع(الآخر) انتقلت لأسباب عديدة ـــ إلى فضاء الآخر الأوربي، فأصبحت الذات فى مواجهة (جمع) وهذه المعادلة هى المسيطرة على روايات المواجهة الحضارية بداية بالطالب فالمثقف منذ بداية الرواد وحتى بداية التسعينيات نحو (القلوب المتحدة ـــ عصفور من الشرق ـــ أديب ـــ الحى اللاتينى ـــ موسم الهجرة إلى الشمال ـــ..... بدوى فى أوربا).

---

(١) راجع الرواية ص٧ .

وهذا الكم يكشف – بداية – عن رغبة نهضوية، ورغبة فى مثاقفة أو اكتشاف للآخر، لأن الانتقال هنا هو انتقال الأضعف إلى الأقوى للإفادة منه وهو الوضع الطبيعى(١) .

يبدأ سليم سركيس رسم ملامح بطله " جحا " من خلال الصورة العامة يقول:" كان فى صغره موفقًا إلى الخير شديد العناية بكل عمل يتولاه مهما كان صغيرا وكانت له عناية فائقة بالخيل حتى اشتهر أمر مهرة تتبعه وتنقاد إليه كأنها حيوان داجن "(٢) .

وعندما هاجر "جحا" إلى أمريكا اشتهر هناك، ويورد سليم سركيس بعض المقتطفات من الصحف والجرائد التى كانت تنشر عن "جحا" يقول: "كان شابًا جميلا فى نحو الثلاثين من عمره يحسن التكلم باللغة الإنكليزية وكان محبوبًا بين طبقة الأعيان الخاصة التى كان يتعاطى أشغاله معها "(٣) .

والأوصاف السابقة للبطل – حين تجتمع – فهى علامات لا تخطئ على التوافق النفسى والهدوء والتوافق الاجتماعى بعامة.. من هنا حاول سليم سركيس التركيز على أخلاق وطبائع الشرقيين الجيدة متمثلة فى شخصية جحا.

كما يدافع المؤلف عن الحب الذى يمكنه أن يغير ويرقى الإنسان ويدفعه نحو العلم يقول: "ولكن متى دخل نور الحب إلى فؤاده أنار عقله وحدد ذهنه وشدد مواهبه، فهو يريد أن يزيد فى قيمته وأن يعلى من مقامة ولا شيء أفضل من العلم خصوصًا فى

---

(١) راجع: محمد نجيب التلاوى: الذات والمهماز – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٧ ص٥٢ .
(٢) الرواية ص٢١ .
(٣) الرواية ص٤٣ .

هذا العصر وفى هذه البلاد فهو يجعل الشاب فى مركز أسمى من مركزه الأصلي(١) .

كل هذا حمل الشاب على ترك البيع ما دام قادرًا من حين إلى آخر للتردد على ديار العلم والتهذيب واكتساب ما أمكن منهما... وهكذا ازداد معرفةً وعلمًا واطلاعًا على عادات الأمريكان وأخلاقهم وآدابهم وارتقت نفسه وعرف الفريق المرتقى من الأهالى فصار صديقًا لهم لا بائعًا فقط.

ويورد " ميخائيل أسعد رستم " فى كتابه المهم " الغريب فى الغرب " الذى كتبه فى أواخر القرن التاسع عشر وتحديدًا سنة ١٨٩٥ فى نيويورك بالمطبعة الشرقية، يقدم فصلاً مهمًا عن هجرة السوريين إلى أمريكا فى فترة مبكرة، يقول: "إن أول من هاجر إلى أمريكا المرحوم الدكتور " يوسف عوض عربيلى " الدمشقى المشهور مع عائلته وأولاده سنة ١٨٧٨ وتوطنوا الولايات المتحدة، أما عدد السوريين فى أمريكا فيبلغ نحو خمسين ألفًا وقيل أكثر، أما وجوه المعاش التى اتخذها السوريون بادئ أمرهم فى هذه البلاد فانحسرت فى حمل البضاعة والتجول بها فى المدن والقرى وهى إما أن تكون من أنواع الحلى أو من أنواع المطرزات والحرائر الشرقية وهذا ما اشتغل به بطل روايتنا".

ويصور سليم سركيس فى أجزاء كثيرة من الرواية كم تناقضات الحضارة الغربية التى تدعو إلى الحرية وفى الوقت نفسه تسلبها منه، ففى الوقت الذى يعرض "جحا" زواجه من إليصابات "على جيمس الأخ الأكبر" لإليصابات "يقول:" أرجوك أن تساعدنى

(١) الرواية ص٥٢ .

للاقتران من شقيقتك الآنسة فيلبس وكانا قد وصلا عند هذا الحديث إلى رصيف الشارع الواقع تجاه دار الحكمة حيث الألوف من الناس ومئات من المحامين ورجال البوليس، فما لفظ جحا تلك الكلمات الأخيرة حتى انقلبت سحنة جيمس وتغيرت أطواره واصفر وجهه حنقًا وارتجف غيظًا.. فما أتم جحا سؤاله حتى تحول جيمس على قارعة الطريق وأمسكه باليد الواحدة من عنقه وباليد الأخرى حاول إخراج مسدس وصاح بالشاب السورى، ويحك يا شقى يا تركى قد أحببتك أعظم حب وأنزلتك أعظم منزلة فإذا بك تريد أن تسلبنى أختى وأخذ جيمس يزعق ويصيح ويواصل الشتائم واللعنات بلغة قبيحة منكرة حتى اجتمع الناس حولهما من كل جانب ".[1]

وهناك إشارات كثيرة فى الرواية تعبر عن وجهة النظر هذه المغلوطة عن الشرقيين يقول: جيمس " يا لك من شقية إنك احتلت علينا بشرفك وترف عائلتك فسلمت قيادك لشاب جاهل تركى أحمق، ألا تعلمين أن هؤلاء الأتراك يتزوجون العشرات من النساء فكيف يكون حالك".[2]

وهذه النظرة التى يتحدث عنها سليم سركيس فى بدايات القرن العشرين وتحديدًا سنة ١٩٠٤ هى نفسها وجهة النظر الحالية للغرب تجاه الشرق، فجدير بالذكر أن كاتب هذا البحث قد عايش بنفسه هذا الأفكار المغلوطة وحاول أن يغيرها حيث إننى كنت أعمل فى إحدى الجامعات الأوربية كانت تأتينى الأسئلة المستنكرة لزواج العربى من أربع نساء، إلى غير ذلك من الأسئلة ومن وجهات النظر التى تحتاج منا نحن العرب إلى تصحيحها للغرب.

---

(١) الرواية ص ٧٨ .
(٢) الرواية ص ٨١ .

وعلى الرغم من ذلك فإن أمريكا ليست كلها هذه الشخصيات المعقدة بالعنف وعباداته والحقد والعنصرية بل إن فيها من يمثلون وجهًا أكثر إنسانية وتعاطفًا وميلا إلى رؤية الحقيقة كما هى ويمثلهم فى الرواية "مستر جونز" صديق "جحا" الذى ساعده كثيرًا للتخلص من السجن ومن محاولات جيمس المستمرة للتخلص منه".

من هنا فالراوى فى رؤيته للأمريكان يؤكد على الجانب الإنساني، أو قل البشرى منهم، فهم " مثلنا "، وواضح تمامًا أن " المماثلة " التى يؤكد عليها الراوى ــ هنا ــ يمكن أن نطلق عليها " المماثلة البشرية " مماثلة الميلاد والموت، وما بينهما، أحلام، وأحزان وأفراح، والتى تبدو متماثلة معهم تماما وواضح أنه يؤكد للناس ــ وربما لنفسه أولا ! ــ على هذه المماثلة تخلصنا من عقد النقص أو الاضطهاد التى ما تزال مسيطرة على كثيرين من الشعوب التى كانت مستعمرات أوربية.

إن الصراع قائم شئنا هذا أم أبينا، والغزو ــ أيا كان شكله ــ لم ولن يهدأ، وتجاهلنا له لن يحل المشكلة، كما لن يحلها غزونا ــ أو غزو مثقفينا ! ــ لأوربا على شاكلة غزو جحا.. لها !

إن هناك " هوة تاريخية ليس لها قرار " فهل يستطيع الحب أن يضع الجسر على " الهوة " ليصل بين الطرفين ؟!

إن نجاح العلاقة بين جحا وإليصابات فى نهاية الرواية، يعنى التأكيد على "المشترك الإنسانى " الذى يمكن أن يحل إشكالية صراع الحضارات والذى يمكنه أن يقدم حلا بديلا وهذا ما طرحه فى الأيام الماضية خطاب الرئيس "أوباما" التاريخى فى جامعة القاهرة وخاطب من خلاله العالم الإسلامى لتحقيق الفهم المشترك والتفاهم الأعمق بين الشرق ــ العالم الاسلامى تحديدًا ــ وبين الغرب.

فيقول:" يمثل إدراك أوجه الإنسانية المشتركة فيما بيننا بطبيعة الحال مجرد البداية لمهمتنا، إن الكلمات لوحدها لا تستطيع سد احتياجات شعوبنا ولن نسد هذه الاحتياجات إلا إذا عملنا بشجاعة على مدى السنين القادمة، وإذا أدركنا حقيقة أن التحديات التى نواجهها هى تحديات مشتركة ".

فالرواية فى مجملها "رحلة " رحلة حياة، ورحلة نفس ليس فى الانتقال من بيئة إلى بيئة فحسب، بل فى انتقالاتها النفسية والعاطفية، ومن ثم الفكرية من أسلوب فى الحياة إلى أسلوب آخر.

وجدير بالذكر أن موقف الراوى من الحضارة الغربية وأهلها موقف غير مطرد وغير واضح فهو يبدو ــ أحيانًا ــ وكأنه يحاول إرساء دعائم حوار حضارى هادئ لا يقوم على العنف، كما أشرنا سابقًا، وفى بعض الأحيان نشعر بأن هناك "هوة" تاريخية ليس لها قرار بين الشرق والغرب، بدا ذلك فى المساحات النصية داخل الرواية التى تعرض لها جحا من اضطهاد وتعذيب من قبل "جيمس" الأخ الأكبر لإليصابات.

من هنا حاولت هذه الرواية أن تبحث عن الذات العربية فى الغرب وتحديدًا فى أمريكا لتقدم صورة واقعية لشاب عربى وجد نفسه هناك.

# القلوب المتحدة

# في

# الولايات المتحدة

—✡❋✡—

بيان ما جرى للشيخ اسبيريدون جحا اللبناني والانسة اليصابات
فيلبس الاميركية من الاضطهاد والصعوبات قبل زواجها
من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٩٠٤

—✡✡❋✡✡—

بقلم
« سليم سركيس »

# THE UNITED HEARTS
IN
THE UNITED STATES

Being the history of
**SPIRIDON J. JEHA from Syria**
**and**
**ELIZABETH B. PHILLIPS**
**from Pittsburg, Pa.**

BY
S. S. SARKIS



منزل العائلة في سويسڤال سنة ١٩٠٤

# بيان

اذا كان جامع الحوادث في كتاب واحد ومرتبها على شكل موافق لحدوثها يدعى موءلفًا فانا موءلف هذا الكتاب . والا فانا راوي حادثة جرت سمعتها نتفًا مختلفة فدوَّنتها كما سمعتها ولا فضل لي الا فضل ترتيبها . وفي الحالين . حال التاليف او حال الرواية فانا اوَّل من وضع في كتاب عربي حادثة حب واضطهاد حقيقية من اولها الى آخرها لا اخفي الاسماء والاماكن بل اصوِّر الحوادث كما حدثت وازفها الى القراء لغايتين الاولى ان يطلع ابناء سوريا ولبنان على حادثة جرت في اميركا لاحد ابناء وطنهم لا تقلّ عن اعظم حوادث الروايات الافرنجية التي يعتني كتابنا بترجمتها وطبعها ونشرها على الناس وهم والقراء يعلمون انها وهمية لا اساس لها

والغاية الثانية ان اورد حقيقة حادثة اختلف الناس في رواية حوادثها فهم بين موافق ومعارض ومصدّق ومكذّب ويكون فيها دليل على ان الحب لا وطن له وان القلوب لا لغة لها فهي كالماء منعش على السواء في كل مكان . وكالهواء لا بدَّ منه لحياة كل انسان . وقد كتبت حوادث هذه الرواية مدفوعًا الى تدوينها بغاية احسبها حسنة وساطبعها لمن شاقته قراءتها ولا اعرضها عرضًا بل انشرها نشرًا والسلام                سليم سركيس

سويسفال في ضواحي بتسبرغ في ١٧ ايار سنة ١٩٠٤

# مقدمة

## ذات فصول

## ١

## موضوع القصة

في سويسفال من ضواحي مدينة بتسبرغ من ولاية بنسلفانيا من الولايات المتحدة الاميركية منزل فخيم حسن الترتيب فاخر الرياش قائم في بقعة من الارض واسعة خضراء ينطلق النظر منه الى مسافة بعيدة من جميع جهاته · يقيم فيه الشيخ اسبيريدون جحا وقرينته اليصابات كريمة المرحوم روبرت فيلبس من اغنياء بتسبرغ وكبار كرامها · ولهما عائلة مؤلفة من ثلاثة غلمان اولهم فريد جون جحا في السادسة من عمره وثانيهم هنري اسبيريدون جحا في الثالثة وثالثهم ريتشارد جورج جحا في اوائل طفوليته · وكل حركات هولاء الاولاد وسلوكهم منطبق على التربية المعروفة في الطبقة المهذبة من هذه الامة الاميركية العظيمة · وهذه العائلة سعيدة في حياتها ومسكنها ومقامها وسلوكها وشهرتها · وكل ما يراه الغريب في هذا المنزل ومن العائلة يدله على مودة فائقة واتفاق حسن بين الزوجين مع ان الرجل سوري والمرأة اميركية فيعلم بوجود حب وطيد بينهما ازال



فريد جون جحى في الخامسة من عمره سنة ١٩٠٤ 3



رتشارد جورج جحى في الثانية من عمره سنة ١٩٠٤

الفرق بين وطنيتهما وجعل ذاته وطنهما الوحيد٠ وهذا الحب موجود حقيقة فان تعلق احدهما بالاخر كان موجباً لحوادث هذه القصة كما ساوردها فيما يلي٠ حوادث شغلت اهالي بتسبرغ وحكومتها ومحاكمها و بوليسها عدة سنوات وملأت جرائدها باخبارها النادرة

فان الابنة الاميركية لما احبت الشاب السوري لقيت من اخوتها وعائلتها وسائر معارفها معارضة شديدة بلغ من شدتها انها كانت عرضة للاضطهاد والمضايقة وكانت في خطر الموت والابعاد لانهم حسبوا ان السوري راغب في ثروتها الواسعة فقط ولكن صبر الشاب السوري واحتماله العذاب والسجن والاضطهاد وتعرضه لخطر الموت والاحكام الصارمة وفوزه اخيرًا بادراك آماله هو اعظم برهان على ان المحبة كانت متبادلة بين الاثنين وانها بنيت على اساس افضل من المال بدليل ثباتها تجاه كل الصعوبات و بدليل اعظم هو دوامها بعد الحصول على النتيجة فمعيشة هذين الزوجين معيشة صالحة معززة بالراحة ودوام المحبة الى الان

٣

يتفق من حين الى آخر ان تزف ابنة اميركية الى شاب سوري في هذه البلاد بعد ان كثرت المهاجرة ولما كان هذا الزواج السوري الاميركي موجباً لاختلاط فريقين من الناس بينهما اختلاف في العادات والاخلاق والتربية فقد جرت العادة ان يهتم ابناء سوريا بذلك الزواج اولاً لانه قليل . وثانياً لانه مبني في اذهان العامة على ميل السوري الى مال الزوجة الاميركية . وعليه ترى اننا نهتم كثيراً بهذه الحوادث الخصوصية ونجعلها موضوع البحث في جرائدنا وبيوتنا واجتماعاتنا . وهذه المواضيع متى صارت عرضة للمباحث العمومية لا تخلو من مبالغات كثيرة اما في اسباب الزواج او نتائجه او موافقته وعدمها ولما كان زفاف الانسة **اليصابات فيلبس** الى الشيخ **اسبيريدون** جحا قد استوجب الاضطهاد العظيم والخطر الاعظم واتصل الى المحاكم وتناقلته الصحف الاميركية والعربية في اميركا فقد بقيت الحقيقة ضائعة بين هذه التقولات ولذلك عمدتُ الى بيانها في هذا الكتاب اولاً لاظهر حقيقة المصاعب والمتاعب والاضطهادات التي عرضت للزوجين فيكون هذا البيان الصريح فصل الخطاب . ثانياً لاظهر ان المحبة لا وطن لها ولا لغة خاصة . ثالثاً لاظهر ان الزواج المختلط يكون سعيداً وانه مفيد . رابعاً ان في سرد هذه الحوادث فكاهة وموعظة فهي من قبيل الرواية ولكنها تمتاز عن سائر الروايات في انها حقيقية لا زيادة فيها ولا تفنن من كاتبها

## ٣

## الزواج المختلط · والآراء فيه

انا اكتب حوادث هذه الرواية السورية الاميركية في عصر النهضة السورية في اميركا · فهوذا جرائدنا في نيويورك والبرازيل تناظر احداها الاخرى في هل الاوفق للسوريين ان يتزجوا مع الاميركان ولعل حوادث هذا الكتاب ونتائجها المحمودة تفيد احد المتناظرين حجة لتأييد مذهبه

ان المهاجرة السورية بدأت لاوّل امرها واساسها الحصول على المال للاستعانة بالكثير منه على المعيشة الحسنة في سوريا ثم لما كثر عدد المهاجرين وطاب لهم المقام في هذه البلاد ورأوا الراحة والامن والنجاح تحولت المهاجرة الى الاستيطان بدليل اقامة الفريق الاكبر وتصرفهم في كل حال من احوالهم تصرف المستوطن فهم يشترون البيوت وبعضهم يبنيها وقد جعلوا علاقاتهم التجارية ثابتة وليس هذا شأن الذي ينوي الرجوع · فاذا تقرر ذلك وجب على السوري الذي ينوي جعل اميركا وطنه ان يمازج اهلها وان يتخلق باخلاقهم وان يكتسب عاداتهم لانهم هم الفريق الاكبر وهو الفريق الاصغر · وانت ترى من اقبال السوريين على التجنس بالجنسية الاميركية وتعليم اولادهم اللغة ان ذلك لا بد من ادراكه

ثم مهما بلغ من حرص السوري على وطنيته فلا سبيل الى ابقاء

ذلك الحرص والميل في اولاده . فالجيل الجديد من السوريين لا بد ان يكون اميركيًا في مولده وعاداته واخلاقه وادابه واذا كان لا بد من ذلك وجب ان يميل الجيل الجديد الى الامتزاج العائلي مع هذه الشعوب فاذا ارتقى السوري الى ان يصير اهلاً للمعيشة العائلية الاميركية كان ذلك نافعًا له

* * * * * * *

قد يخطر للسوري انه سيبقى سوريًا لانه محب لوطنه كاره لاكثر عادات هذه البلاد ولكن اذا تأمل قليلاً وجد ان ابنه لا يكون سوريًا بل يكون اميركيًا بحكم المولد والمعيشة والامتزاج مع هذه الشعوب سواء شاء الاب او لم يشاء . فاذا كان لا بد لابنائنا من ان يكونوا ابناء هذه البلاد واذا كان لا بدّ لهم من الاقامة فيها وممارسة الاشغال هنا لاق بالآباء الان ان يساعدوهم على التخلق باخلاق الاميركان واتخاذ عاداتهم كأن يدخلوهم مدارس الامة وان يعلموهم اللغة الاميركية وان يخلصوهم من اثقال « المزامير والطوبى ونخب الملح » لان المزامير لا تدخل وال ستريت ولان الطوبى لا تفتح الابواب لبائع الحرير ولان نخب الملح لا يفيد في الدراي كردس والنوشن . هذه نصيحة خبير . نصيحة رجل عرف منذ صغره كيف يضرب زيدٌ عمرًا ولكن لم يقدر حتى الان بعد ٣٨ سنة ان يعرف كيف يعقد صلحًا بين جيبه والريال . نصيحة رجل عرف

من صغره كيف ياكل السمكة حتى راسها ولم يقدر ان يعرف حتى الان كيف ياكل الارباح المالية ولو حتي اخمص قدمها فقد قضيت العمر حائرًا بين ان تكون البراغيث قد اكلتني او اكلوني فلم اجد وقتًا لاتعلم كيف استولي على التجارة والارباح فان اتعظ الناس فعلوا حسنًا لان

كلامنا لفظ مفيد كاستقم





## = عائلة اسبيريدون جحا =

### عند وضع هذا الكتاب

العائلة التي هي موضوع هذا الكتاب تستحق ان نفرد لوصفها هذا الباب ليعلم القارئ انه يقراء حادثة صحيحة وليقف على منزلة هذه العائلة من التهذيب ونصيبها من الراحة والهناء

**اسبيريدون جحا** رب هذه العائلة له من العمر الان ٣٦ سنة وقد صرف كل همه الى تربية اولاده وتوفير السعادة والهناء لزوجته التي بلغ من حبها له ان تركت لاجله عائلتها واخوتها وكثيرًا من معارفها فهو حريص على الحياة العائلية رضي الاخلاق كريمها ومع كثرة تخلقه باخلاق الاميركان نظرًا لطول اقامته بينهم لا يزال حريصًا على احسن العادات الشرقية وهي الضيافة والسخاء والرقة وحسن الانعطاف وهو عامل الان على ادارة مصالح املاكه الكثيرة بهمة ونشاط شأن الرجل العاقل . وزوجته **اليصابات قد تمتعت بكل** اصناف الهناء والسعادة فتراها غير نادمة على شيء مما قاسته في سبيل سعادتها الزوجية وهي كثيرة الميل الى المعيشة العائلية منقطعة عن الملاهي المؤذية منصرفة الى العناية باولادها وتربيتهم تربية صحيحة تجعلهم اهلاً للحياة الرجلية المستقبلة

ومن حسن توفيق هذه العائلة ان الزوجة الاميركية ميالة الى



4 هنري اسبير يدون جحى في الثالثة من عمره سنة ١٩٠٤

العادات السورية ومحاسن ادابها ولها ولع باللغة العربية وهي تحب سوريا والسوريين وتفتخر بانهاسورية وانها زوجة سوري كما ترى من اقوالها وافعالها وهي ترحب باقارب زوجها ومعارفه فالداخل الى منزلها لايشعر بانه يقابل امرأة اجنبية ولولا اختلاف اللسان لحسبها سورية لبنانية من حيث رقتها ولطفها وحسن معاشرتها واقبالها على كل شيء سوري وسرورها بكل حديث سوري وارتياحها الى كل طعام سوري

وقد بارك الله هذا الزواج بثلاثة غلمان لهم جمال ورقة قد اكسبتهم محبة الام الاميركية وعناية الاب السوري افضل ما في هاتين الامتين من محاسن الاخلاق وجمال الوجوه وصحة الاجسام

وفي نية الوالد ما توافق عليه الوالدة ألا يحرم هولاء الاولاد من دراسة اللغة العربية في وطن والدهم فيتوفقون بالعناية الوالدية الى مصير حسن ومستقبل موافق لمن هم في منزلتهم المادية والادبية

## ﴿ ما لا بدّ منه ﴾

لما كنت اروي حوادث هذه القصة واريد ان اجعلها بصفة رواية وكانت على النسق الافرنجي في كل احوالها لا ارى بدًّا من التنبيه عن انني اذكر اسماء الاشخاص فيها مجردة من الالقاب · وانما صرّحتُ بهذا لان اكثر الافراد الذين مثلوا هذه الرواية لا يزالون في قيد الحياة فمع مزيد اكرامي لهم اضطر الى ذكر الاسماء فقط لانني لست في مقام مادح مطرىء بل في موقف كاتب يروي حادثة

# في لبنان

## اسبيريدون جحا

### ولادته · صغره · عائلته · وطنه · مركزه · دروسه · استعداده للسفر

تبدأ حوادث هذه القصة في جبل لبنان بتأثر مجرى الحوادث على رَجُلها — في ذلك الجبل الذي احتكر من سوريا الهواء النقي والجبال الشامخة والمياه العذبة والانهر الصافية النقية كما احتكر من تلك الجهات جمال المناظر الطبيعية فهو جنة تفيض ارضها لبناً وعسلاً . كذلك احتكر لبنان الرجولية في شبانه والذكاء في كهوله والحكمة في شيوخه والادب في نسائه والجمال في بناته ثم احتكر لدى العموم حسن الضيافة وكرم الاخلاق فانت في منزلك في اي منزل منه وسكانه هم الضيوف وانت المضيف وقد ذاعت مزايا اهالي لبنان في كل مكان واشتهروا بهذه الخلال الشريفة والخصال الطيبة حتى عرفوا بها وامتازت فيهم

قال المعلم بطرس كرامة يصف لبنان في قصيدة بعث بها من

مصر الى الامير امين ابن الامير بشير الشهابي

من سفح لبنان ام من ذيل لبنانِ
يانسمة هيجت شوقي واشجاني
كيف المنازل هل من بعدنا ابتسمت
ثغورها البيض عن درٍّ ومرجانِ
وهل كعهدي على الافنان صادحة
ورق الرياض بتغريدٍ والحانِ
حييت لبنان من طودٍ يباكرهُ
ودق الغمام بهطال وهتان
حكى الجنان بانهارٍ مدفقةٍ
شهدًا تفيض لدى حور وولدانِ
دارت به جاريات الماء ساقية
مثل السواقي تجارت بين لبنانِ
تحمي جفون الظبا احياؤُه وترى
ظباءه تقتل الاحيا باجفان
تشب نار قرى منه ونار جوى
بين المرابع من اسدٍ وغزلان
تقاسم الفتك اهلوه فاصبح في
لحاظ غيدٍ وفي اسياف فتيان

حكت قدود غوانيه مرنحةً

رماح فرسانه يا خجلة البان

واما عن اشتهار لبنان بضيافة اهله فقد حدث انني تركت باريس الجميلة سنة ١٨٩٤ قاصداً مصر وركبت مساء الرابيد ( وهو القطار المستعجل جداً ) فلا يقف الاّ في ديجون وليون برهة وجيزة ويصبح في مرسيليا · ولما سار بنا على عجل وجدت في الغرفة معي رجلاً انكليزياً يقصد اوستراليا · وعلى غير عادة ( البرودة ) الانكليزية فاتحني الحديث فسررت وطال حديثنا لانني والكلام بسر القارسي اكره عادة هولاء الافرنج الذين يقضون الايام في الاسفار بلا كلام كانهم اصنام · ولما علم الانكليزي انني اقصد مرسيليا ومنها الى مصر قال — لو انصفت نفسك وقسمت وقتك لفعلت خيراً فانت ستبقى في مرسيليا ٥ ايام قبل موعد سفر باخرتك الى مصر فلماذا لا تنزل في ليون الليلة اذ تبلغها نصف الليل وتقضي ٣ ايام فيها متفرجاً على معرضها العظيم قلت اودُّ ذلك ولكن تذكرتي تنقلني راساً الى مرسيليا قال هذا ما لا حكم لي فيه · اما انا فاخذت افتكر واستمشرت جزداني فقال لي — اذا نزلت في ليون خسرت تذكرتك وحملتني نفقة تذكرة جديدة من ليون الى مرسيليا · فلما وقف القطار في محطة ليون هرولت الى حارس هناك وقلت — اين ناظر المحطة · قال هو ذاك الرجل الشائب الكثير الحركة · فاسرعت اليه وقلت عارضاً تذكرتي

— هل يمكن قضاء يوم في ليون بهذه التذكرة قال — لا — وتحوَّل يريد الذهاب فهبط قلبي كما يقولون والحقيقة هبط جزداني — فقلت له وقد استولى عليَّ اليأس — يسوءني جوابك السلبي وانا غريب قادم من لبنان وربما لم ارجع الى اوروبا في حياتي فتفوتني مشاهدة ليون — ولا ادري ما الذي حملني على الانتساب الى لبنان مع انني عادة انتسب الى سوريا

وكان ناظر المحطة كبير الجسم طويل القامة جميل الوجه اشقر اللون قد استولى الشيب على كل شعره في راسه فلما انتهيت من عبارتي اذا به قد تحوَّل اليَّ وامسك بيدي يهزها هزًّا عنيفًا ولكنه دليل الولاء وهو يقول — انا مسرور جدًّا اهلاً بك ومرحبًا وجرَّني وانا في ذهول الى مركز ادارته وانا لا ادري ما يريد ولا ما الذي استماله اليَّ ثم سمعت صفير القطار فهلع فوءادي وحاولت التخلص من الناظر قائلاً — قد فاتني القطار فشدَّ على يدي وجرني قائلاً — لا بأس عليك فلما وصلنا الى غرفته قال اين تذكرتك قلت غاضبًا — خذها — واظن انني قلت بعض كلمات منكرة بالعربي فاخذها وكتب على ظاهرها اسمه ثم ارجعها اليَّ وقال يمكنك ان تقيم في ليون خمسة ايام ولا تجسر « انك من لبنان ولاجل لبناني اخالف نظام فرنسا » ثم قال . انت غريب وقد تناصف الليل والمدينة غاصة بالاشقياء ثم نادى احد الحرس فاوعز اليه ان ياخذني الى فندق

يعرفه وان يوصي اصحابه بي . ولما اصبحت عدت الى الناظر فقلت : اريد ان اعلم ما الذي غير افكارك واجاز لي البقاء قال انك لبناني . قلت وما علمك عن لبنان قال كنت عام ١٨٦٠ جنديًا فرنسويًا وكنت من الذين زاروا لبنان لمساعدة دولتكم على اخماد نيران الاضطراب فما رأيت مثل اهالي ذلك الجبل في مكارم اخلاقهم وحسن ضيافتهم واكرامهم للضيف وعنايتهم بالغريب حتى كانت المرأة وهي خارجة من الفرن تبسط امامنا طبق الخبز وتقول كلوا ما شئتم وطالما تمنيت ان اجتمع بلبناني فاظهر له اكرامي وقد ظفرت بك فغيرت قانون الحكومة لاجلك . ان الانسان لا يملك جزاء الاحسان كل يوم

* * * * * * *

وبشمزين بلدة لبنانية تحيط بها بلاد واسعة ذات خصب فاميون و **بطران** و **كفرحزير** وغيرها وهي في قائمقامية قضاء **الكورة** وكانت مدة مركزًا للقضاء تبعد عن البحر نحو ستة اميال كائنة في بقعة منبسطة من الارض بجانبها وادٍ يجري فيه نهر ومن حولها معامل الحرير الكثيرة في ذلك الجبل والتي قد تكون مورد الرزق الاولي لسكانه

ويروى عن سبب تسميتها **بشمزين** انها كانت تمتاز في حسن موقعها وسائر مزاياها على القرى المجاورة فيقولون في لغة العامة انها

( بوش ) على القرى المجاورة ثم تحوّل الاسم الى بشمزين وهي في مديرية الوسطى ومركز المديرية

وآل جحا الذين منهم اسبيريدون جحا كانوا اصلاً في جرد لبنان ثم تفرقوا في طلب الرزق فاصاب بعضهم زحلة ونزل البعض الاخر في بشمزين ولا تزال الصلة بين فرعي العائلة . وكان نعمة جحا جد موضوع الكتاب رفيع المكانة بين قومه وله ارزاق وادب فلما مات خلفه ابنه حنا جحا ولما صار في السادسة عشرة من عمره تعلق بكاترين كريمة نقولا غازي من بشمزين وهي في عنفوان شبابها ولها ثروة لكنها يتيمة وقد اعتنى اعمامها بتربيتها فلما اتصل بهم ميل حنا جحا اليها انكروا عليه ذلك وابوا الرضى به زوجاً خلافاً لوالدتها التي كانت من راي ابنتها وارادت ان تصاهر الشاب واخيراً لما راى حنا ان لا سبيل الى استرضاء اعمامها اكتفى برضى الفتاة فتزوجها قهراً ونتج عن ذلك خصام عنيف بينه وبين اعمامها ادى الى المحاكم والدعاوي فطال الزمن نحو ١٠ سنوات حتى انتهت ونالت نصيبها من ارث والدها وذلك دليل على انتباه اهالي لبنان الى حقيقة الزواج وانه حادث يجب فيه الاكتفاء بالرضى والموافقة بين المتزوجين وليس الاعتماد على رضى الاهل فقط فانما الرجل يتزوّج المرأة لا عائلتها ويهمه رضاها وموافقتها لا رضى الاعمام والاباء

وكان حنا جحا معروفاً بامانته لدى حكومة لبنان وله اولاد

كبيرهم مخائيل وهو محامٍ معروف بسعة خبرته وامانته في الكورة ولديه مصرف يضع الناس هناك فيه اموالهم اعتمادًا على امانة الرجل وخبرته وقد قضى مخائيل ٢٢ سنة في منصب مدعي عمومي محكمة الكورة واشتهر في انه كان ياخذ الوظائف عن اهلية واستحقاق

وابنه الثاني قسطنطين وهو واسع الخبرة بالتجارة وقد عهد اليه محل سفير الاميركي بوكالة الات الخياطة

ويليه نعمه وجبرائيل · اما جبرائيل فانه رافق اسبيريدون في الهجرة الى اميركا وبعد ان قضى مدة في ولاية بنسلفانيا مع اخيه اسبيريدون سافر الى ارض الذهب في الاسكا واقام عدة سنوات في دوسن ستي

والابن الاصغر هو اسبيريدون موضوع هذه القصة كان في صغره موفقًا الى الخير شديد العناية بكل عمل يتولاه مهما كان صغيرًا وكانت له عناية فائقة بالخيل حتى اشتهر امر مهرة كانت لهم انها الفته كثيرًا حتى كانت تتبعه وتنقاد اليه كانها حيوان داجن

واوّل ما تلقى الدروس في مدارس بشمزين الابتدائية فكان ينتقل من مدرسة الى اخرى والحقيقة ان المدارس كانت تنشأ ثم تزول فيليها غيرها شان المدارس الصغيرة في ذلك العهد الى ان ارسله والده الى كفتين وهي المدرسة المأسوف عليها في طرابلس التي كان يرجى ان تكون نورًا ساطعًا ينير العقول في تلك الجهات

ثم انتهى امرها الى السقوط والزوال شان اكثر المدارس الوطنية وجلّ ما يذكر من امرها انها نشأت بادارة عمدة من اعيان طرابلس مثل **اسكندر كاتسفليس ونسيم خلاط وحبيب نوفل ونقولا نوفل** وسواهم ترأسها اولاً رجل اسمه **حسني** ثم خلفه **داود عيسى** من خيرة رجال الوطن فبرهن عن اهلية وصادفت المدرسة نجاحاً عظيماً في ايامه الى سنوات عديدة ثم سقطت سنة ١٨٨٨ وكتب اليّ احد المطلعين ان سقوطها كان ( بدون شك لسقوط آداب بعض اساتذتها ) وقد امتاز بين اساتذتها بالفضل والادب **جبر دوميط وانطون شحيبر** فارتقى **الاول** الى رئاسة الاساتذة والتدريس في كلية الاميركان البيروتية

* * * * * * * * *

ويروى عن **اسبيريدون** في صغره ان البروتستانت انشأوا في **بشمزين** مدرسة عهدوا بادارتها الى معلم لا اعلم اسمه وتصرّف هذا المعلم تصرّف الجهال فادى تصرفه الى اضمحلال المدرسة وفساد الغاية الحميدة المنوية من انشائها فهو نظير عدد غفير من المعلمين الجهال صوّر للقوم هناك ان البروتستانية غايتها مقاومة الدين بعنف فحدث ذات يوم انه كلف احد الطلبة الى تلاوة الصلاة الربانيـة وبقية الطلبة وقوف وكلهم روم ارثوذكس فلما بدأ التلميذ بتلاوتها رسم **اسبيريدون** اشارة الصليب فاستاء المعلم وعاقبه ولكن الغلام

اصرّ على عادته الدينية وادى الامر الى تركه المدرسة . وانا كرجل ولد بروتستانياً اقول ان مثل تصرّف هذا المعلم هو الذي ينفر بعض اهالي لبنان من المبادىء البروتستانية مع انها بريئة من تصرفات هولاء الافراد

على ان **اسبيريدون** توفق الى معلم ذكي عاقل هو **توفيق سلوم** احد طلبة الكلية السورية الاميركية فرأى هذا المعلم الذكي ميلاً من الشاب الى التقدم اذ اراد ان يهتم بدراسة اللغة الانكليزية التي مال اليها من صغره فاتفق مع المعلم العاقل على دراستها عن يده في اوقات معلومة ولكن معلم المدرسة الجاهل ساءه انصراف الشاب الى هذا الغرض واراد معاقبته وكان هذا باعثاً على تركه المدرسة نهائياً وكان شقيقه **جبرائيل** قد اراد المهاجرة الى اميركا قبل هذه الحادثة بنصف سنة فعارضه **اسبيريدون** واقنعه بالعدول فلما كان ما كان من خلافه مع المعلم كره البقاء واتفق مع اخيه على السفر وهكذا قدما **طرابلس** وركبا الباخرة الى **اميركا** فوصلا **نيويورك** واقاما مدة فيها ثم قصدا **بتسبرغ** كأن يد القدر ساقتهما الى المدينة التي تقرّر في علم سابق ان تكون وطناً **لاسبيريدون** ومحلاً لعذابه الطويل الذي ادى الى راحة اطول وهناء اعظم يتمتع بها الان

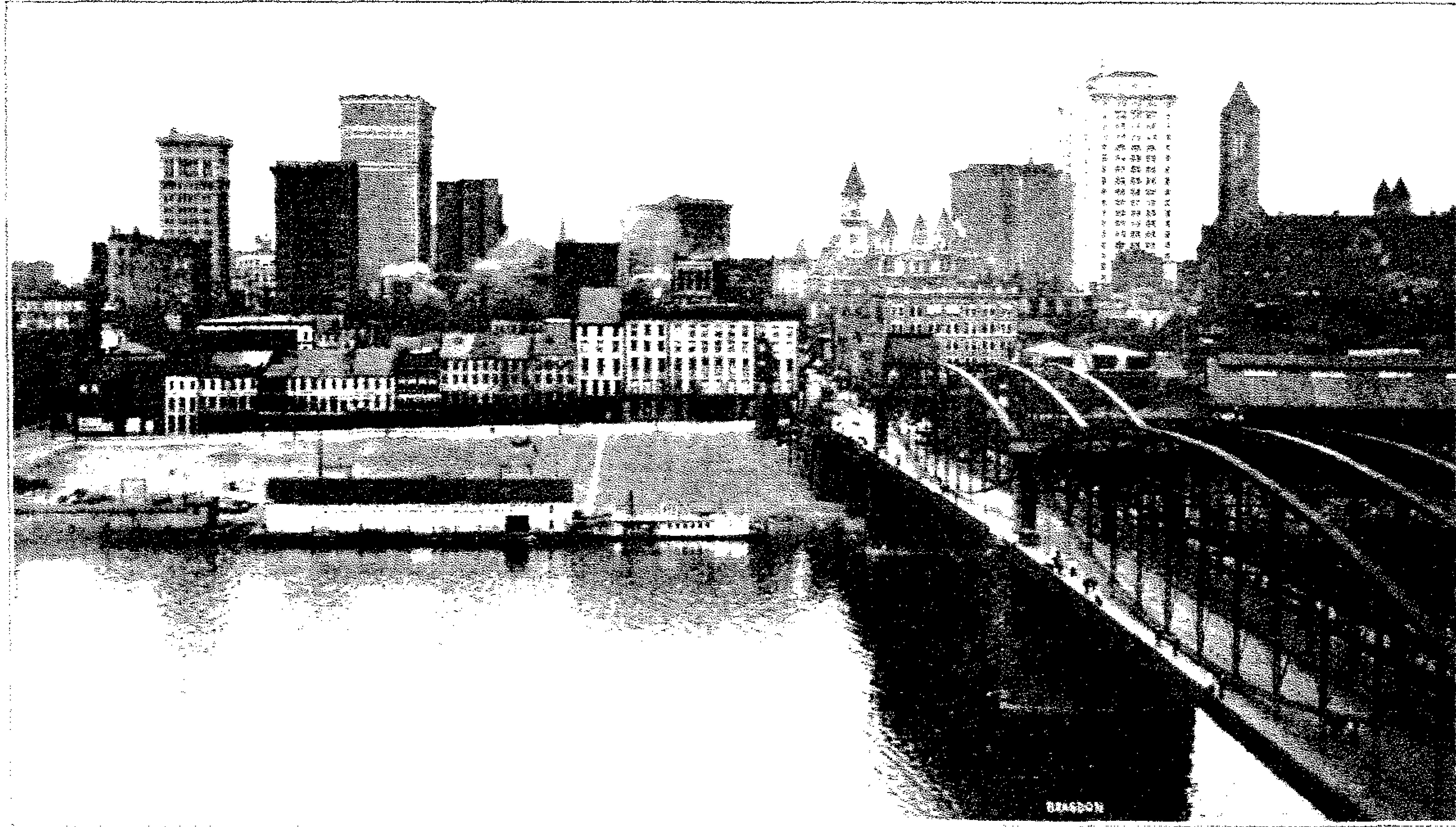
واقام **اسبيريدون** في **بتسبرغ** ملازماً البيع كما هي عادة كل سوري ياتي هذه البلاد ثم مرض مرضاً شديداً ولكنه شفي بالعناية التي قدرت له حياة طويلة ولزمه شقيقه **جبرائيل** عدة سنوات ثم رحل الى **دوسون** حيث الذهب الكثير للعمل والاجتهاد

# في بتسبرغ

—✲✲✲—

لما كانت اليصابات فيلبس موضوع هذه الحوادث قد ولدت وعاشت وتزوجت في هذه المدينة وبما ان كل الحوادث جرت فيها ونظرًا لاهمية المدينة صناعة وتجارة اقتضى ان افرد لوصفها مجالاً فسيحًا

يوم السبت في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٧٥٨ دخل الانكليز بجيوشهم **حصن دوكوين** **Fort Duquesne** وطردوا حاميته الفرنساويه فلما نصبوا رايتهم على الحصن اقترح الجنرال **فوربس** تسمية المكان ( **بتس بورو** ) اي ناحية **بتس** نسبة لوزير الدولة الانكليزية صاحب هذا الاسم ثم تحول الاسم الى **بتسبورغ** ويقال ان اول صلاة تليت في هذه الارض صلاة تلاها راهب يسوعي اسمه الاب **بوتكان** وذلك في شهر آب سنة ١٧٤٩ ثم عزز الانكليز الحصن ونظرًا لوجود حاميته اقبل الناس على الاقامة حوله ففي ١٤ نيسان سنة ١٧٦١ كان عدد سكان هذه الناحية ٢٣٣




مدينة بتسبورغ من ولاية بنسلفانيا

٤٦

شخصاً و ٩٩ ضابطاً وعسكرياً وعائلاتهم وعدد البيوت ١٠٤ فقط ولكن الهنود الذين احدقوا بها من كل ناحية اكثروا من الاعتداء على سكانها لذلك صدر امر الحاكم العام على بنسلفانيا ان يعاقب الهنود عقاباً صارماً قصد استئصالهم وذلك سنة ١٧٦٤ ومآل الامر هكذا

تعطي الحكومة الجزاء الاتي لكل من يأسر هندياً او يقتله فالحكومة تعطي ١٥٠ ريالاً لكل من يأسر ذكراً هندياً فوق العاشرة من عمره و ١٣٤ ريالاً لكل من يأتي بجلدة راس هندي بعد ان يكون قد قتله وعن كل هندية او هندي اقل من العاشرة عن اسره او اسرها ١٣٠ ريالاً وعن جلدة راس كل انثى ٥٠ ريالاً ولا يخفى ان هذه هي الطريقة التي استعملتها الحكومة الانكليزية لاستئصال الذئاب من جزيرتها

واول جريدة نشأت في بتسبرغ هي الغازت سنة ١٧٨٦ وفي السنة نفسها نشأت البوسطة : بين بتسبرغ وفيلادلفيا وكان دخلها عن سنة واحدة ١١٠ ريالات و٩٩ سنتاً ثم صارت مدينة بمصادقة الحكومة سنة ١٨١٦ وكانت بوسطتها تنتقل على الخيل الى سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٠٠ كان عدد سكانها ١٥٠٨٧ شخصاً اما الان فهو ٣٢١٦١٦ شخصاً وهي الان المدينة الحادية عشرة من مدن الولايات المتحدة في عدد السكان على التعديل الاتي

| | |
|---|---|
| نيويورك | ٣٤٣٧٣٠٣ |
| شيكاغو | ١٦٩٨٥٧٥ |
| فيلادلفيا | ١٢٩٣٦٩٧ |
| سانت لويس | ٥٧٥٢٣٨ |
| بوستون | ٥٦٠٨٩٢ |
| بالتيمور | ٥٠٨٩٥٧ |
| كليفلاند | ٣٨١٧٦٨ |
| بوفلو | ٣٥٢٢١٩ |
| سان فرنسيسكو | ٣٤٢٧٨٣ |
| سنسيناتي | ٣٢٥٩٠٢ |
| بتسبورغ | ٣٢١٦١٦ |

وهذه المدينة اعظم مركز صناعي تفوق سائر المدن في معاملها العظيمة التي ترسل مصنوعاتها الحديدية والفولاذية والزجاجية الى جميع اقطار العالم وفيها من افراد الاغنياء ما لا يوجد في بلاد وهي المدينة التي نشأ منها المثري الشهير والمحسن العظيم كارنيجي كما سيجيء في اللمعة الخاصة بتاريخه وسنة ١٨٠٧ كان فيها معمل واحد للقطن وآخر للزجاج و ٤ معامل للمسامير وانشىء اول معمل للزجاج سنة ١٧٩٧ وسنة ١٧٩٨ بنيت فيه بعض بوارج مصفحة استعداداً للحرب واول معمل لسكب الحديد نشأ فيها سنة ١٨٠٣ وكان مركزه

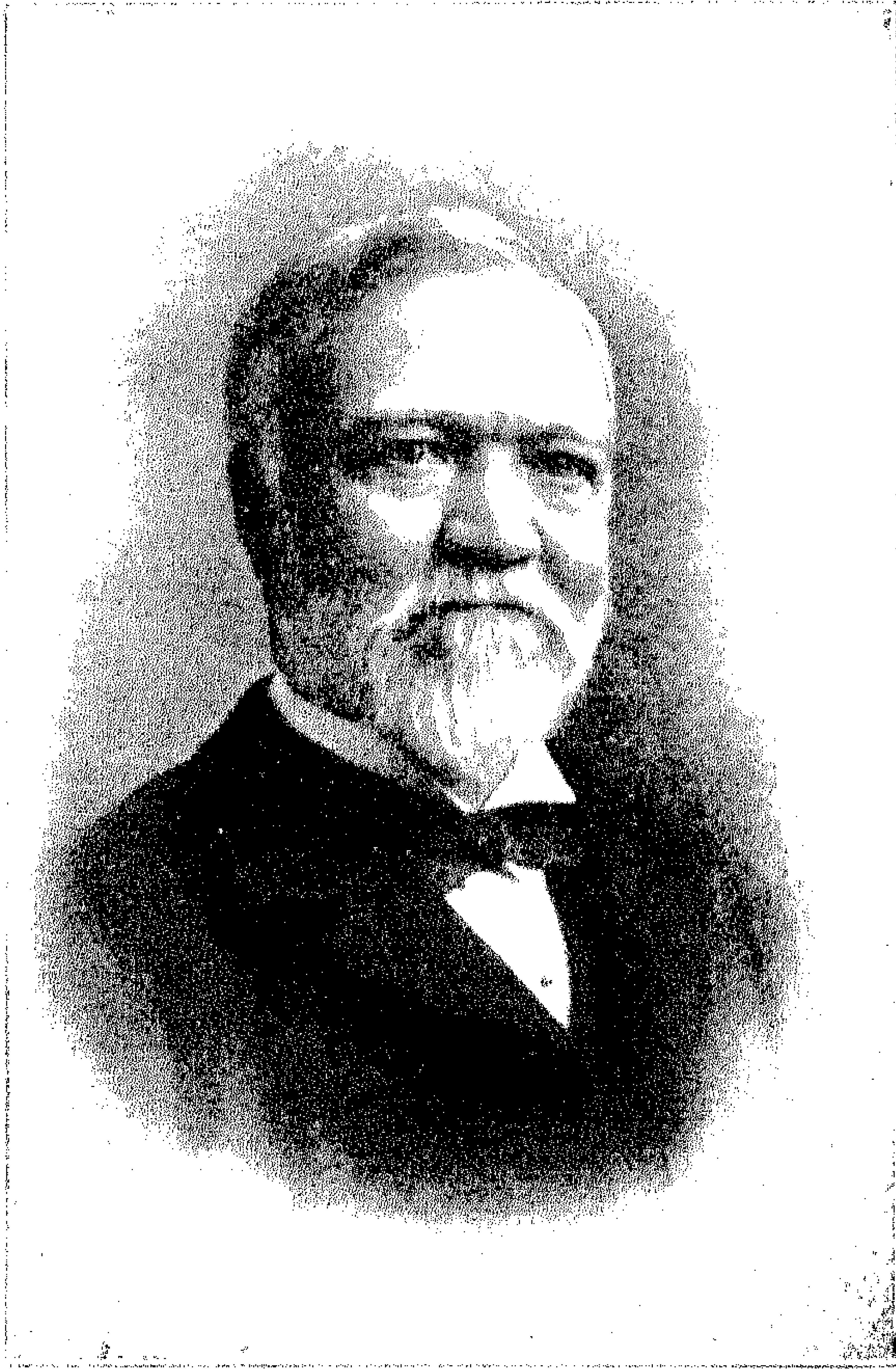
حيث ادارة البريد الان . واوّل بنك نشأ فيها سنة ١٨٠٤ وسنة ١٨٠٢ بدأُوا يصدّرون الفحم منهاوفيها آلات ٢٥موقدة و ٣٦ معملاً للحديد و٢٠ للفولاذ وعدد عمال معامل الحديد نحو ٢٠٠ الف عامل قيمة محصولها السنوي ٤٦ مليون ريال والمال الموزّع في اجور العمال ١٨ مليونًا اما معامل الزجاج فكثيرة منها نحو ٣٠ معملاً لزجاج الشبابيك و ١٠ للقزايز و ٥ للاواني النحيفة و ٦ لادوات الموائد وللدلالة على عظمة هذه المعامل اقول ان معامل زجاج النوافذ فقط تدفع كل عام مبلغ مليون واربعمائة الف ريال اجرة العمال

# كارنيجي

## صغره · مهاجرته · ثروته · احساناته

كما انك لا تقدر ان تذكر الفارس بدون فرسه والكاتب بدون قلمه كذلك لا تقدر ان تذكر مدينة بتسبرغ بدون ان يتردد الى خاطر الكاتب والقاري اسم كارنيجي المحسن المشهور والغني العظيم ولما كنت اريد ان اجعل هذا الكتاب جامعاً بين الفائدة والفكاهة والتسلية افردت هذا الباب لذكر شيء عن **كارنيجي** وربما كنت اول من افرد لذكره فصلاً مخصوصاً في كتاب عمومي في اللغة العربية

وُلد **اندراوس** كارنيجي سنة ١٨٣٧ في **دونفرمتلين** من اعمال اسكوتلاندا في بريطانيا العظمى وفي تلك السنة ارتقت الملكة **فكتوريا** الى عرش اجدادها وكانت عائلته فقيرة وكان **اندراوس** اصغر اخوته فجاء والدهم ذات يوم حزيناً الى المنزل يشكو من خسارة مركزه وتعطيل اشغاله وحرمانه من اسباب المعاش ولما ضاقت بهم اسباب الرزق قرروا المهاجرة الى اميركا حيث كان قد تقدمهم بعض اقاربهم فسافرت العائلة في درجة الفقراء سنة ١٨٤٨

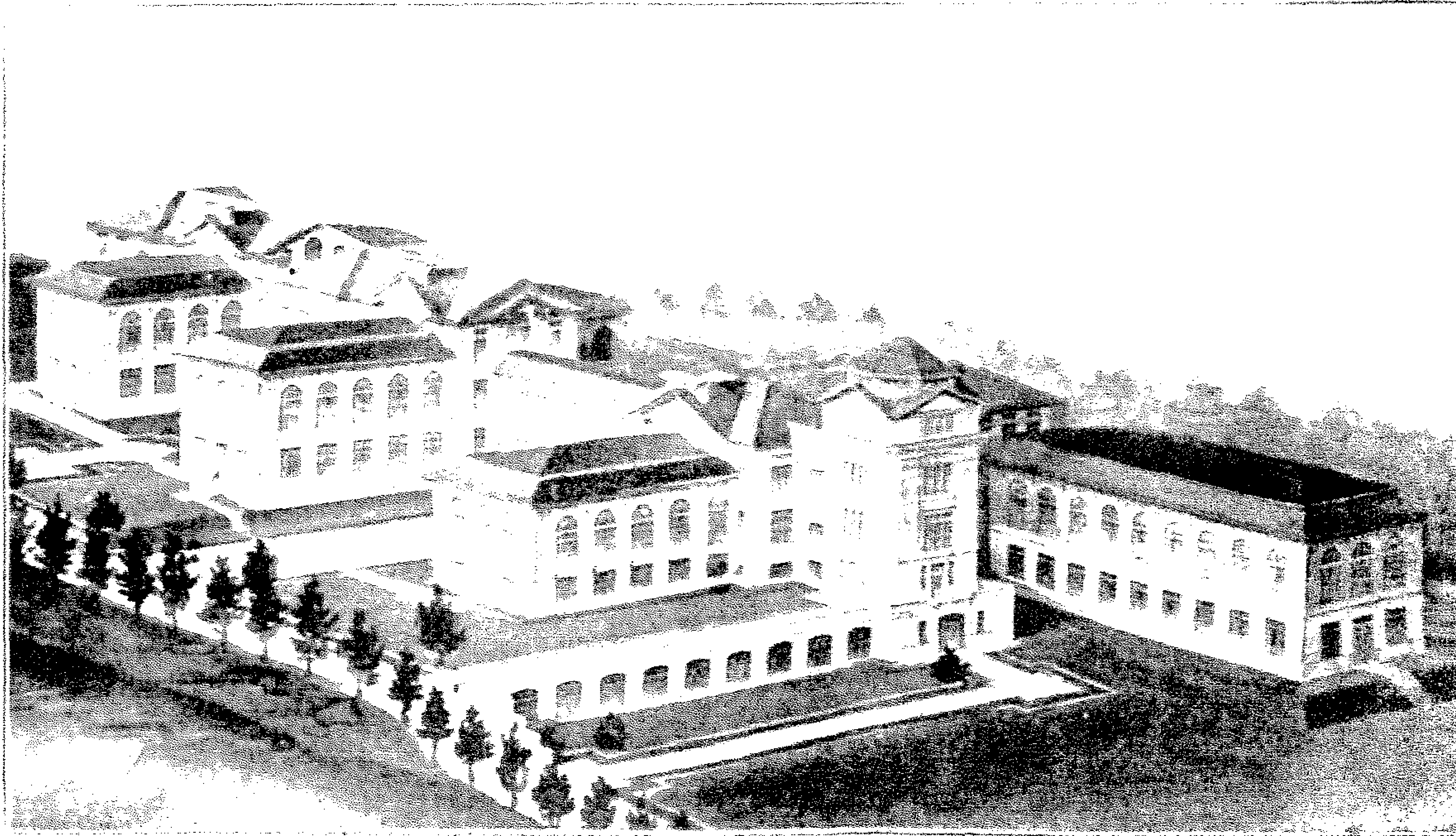


اندراوس كارنيجي المحسن الشهير

وقضوا سبعة اسابيع في البحر وساروا توًّا الى مدينة بتسبرغ كان يد الله تسوقهم الى مصدر الثروة فوجد الاب عملاً وتوفق اندراوس كارنيجي وهو فتى الى العمل في معمل فحم باجرة ريال و٣٠ سنتسة في الاسبوع ثم ضجر وانتقل الى الخدمة في مصلحة التلغراف في مركز رسول او ساعٍ باجرة ٣ ريالات اسبوعيًا وهناك توفق الى اسباب القراءة والكتابة فمارسها بمزيد الاجتهاد في فراغ اوقاته . وكان اذا غاب العمال يمارس استعمال الالات حتى اتقن دقّ التلغراف وحتى صار يقدر ان يرسل الرسائل وان ياخذها من الآلة سماعًا بدون الاعتماد على الكتابة الرقمية وكان ذلك نادرًا في تلك الايام ولما راى رئيسه اجتهاده جعله عاملاً باجرة ثلاثماية ريال في العام وكان في السادسة عشرة من عمره . واتصل خبر اجتهاده بالمستر سكوت مدير سكة الحديد فاستخدمه عاملاً في تلغراف المصلحة بزيادة ١٠ ريالات شهريًا على راتبه الاول ومال اليه سكوت ميلاً عظيمًا فدعاه ذات يوم وقال له ان رجلاً من حاملي اسهم ( ادمز اكسبرس ) قد مات مخلفًا ١٠ اسهم معروضة للبيع ونصح له ان يشتريها لانها مؤدية الى الربح العظيم ولم يكن لدى كارنيجي ثمنها وهو ستماية ريال فلما عرض الامر على والدته اسرعت الى اوهايو حيث كان احد انسبائها ورهنت لديه المنزل بالقيمة اللازمة وهكذا اشترى الاسهم ثم رقاه سكوت الى وظيفة كاتم اسراره . ولما كانت

الحرب الاهلية جعل المستر سكوت المذكور مساعداً لناظر حربية اميركا وكان كارنيجي في الرابعة والعشرين من عمره فولاه سكوت النظر في نقل الجيوش والمهمات ومراقبة اشغال سكة الحديد والتلغراف فاقام على اعماله بامانة حتى انه لما راى سلكاً معطلاً عمد الى اصلاحه . وسنة ١٨٦٢ عاد مع رئيسه الى بتسبرغ ومما يدلك على توفيق الرجل مذ شبابه انه لما عاد الى المدينة كان مسافراً على قطار فلقيه رجل غريب وقال له

— هل لك علاقة مع شركة سكة حديد بنسلفانيا . فاجاب كارنيجي بالايجاب واذ ذاك اخرج الرجل كيساً كان قد خبأ فيه مثالاً صغيراً صنعه لاختراع عربات النوم في سكك الحديد وهي المعروفه اليوم باسم بولمان كار . فادرك كارنيجي نفعها وعرض الامر على رئيسه فاثنى عليه واهتمت الشركة بالاختراع واخذ عدة حصص وربح منها مالاً كثيراً فوفى ديون والدته وصار في سعةٍ . وعلى اثر ذلك اهتدى الى ينبوع زيت واشترى مع بعض المتمولين الينبوع الشهير باسم (ستوري فارم) بمبلغ اربعين الف ريال وكانت صادرات البئر مائة برميل في اليوم ولم يكن كارنيجي على ثقة من دوام هذا المعدل فقرروا ان يحصروا الزيت لحين الحاجة والى ان يباع عند ارتفاع الاسعار فانشأوا لهذا الغرض سداً كبيراً يسع مائة الف برميل ولما ملأوه كان يساوي مليون ريال . ثم باعوا الالوف



مدرسة كارنيجي الكبرى في مدينة بتسبورغ

من البراميل منه ولمزيد دهشتهم لم ينقص ما فيه على كثرة الصادر منه واخيرًا علموا ان الزيت صار غزيرًا جدًّا وارتفعت اسعار اسهم هذا الينبوع في البورصة الى ٥ ملايين وفي سنة واحدة ربحت الشركة من حصصها فقط مليون ريال نقدًا وهو ربح عظيم لعمل راسماله ٤٠ الف ريال فقط

وكان كارنيجي اذ ذاك قد بلغ ٢٧ من عمره فترك الزيت لرصيفه روكفلر وعمد الى صنع معامل للحديد يصنع فيها الجسور الحديدية للقطارات وكانت خشبية من قبل فنجح كثيرًا وعم طلب تلك الجسور فانشأ المعامل الحديدية العظمى ولما راى انه ادرك النجاح والثروة اعتزل الخدمة واستقلّ في اعماله وما لبث ان صار ملك الحديد والفولاذ في اميركا وسنة ١٩٠٠ صارت شركة كارنيجي الفولاذية تساوي ماية مليون ريال وعدد عمالها ٤٥ الفًا

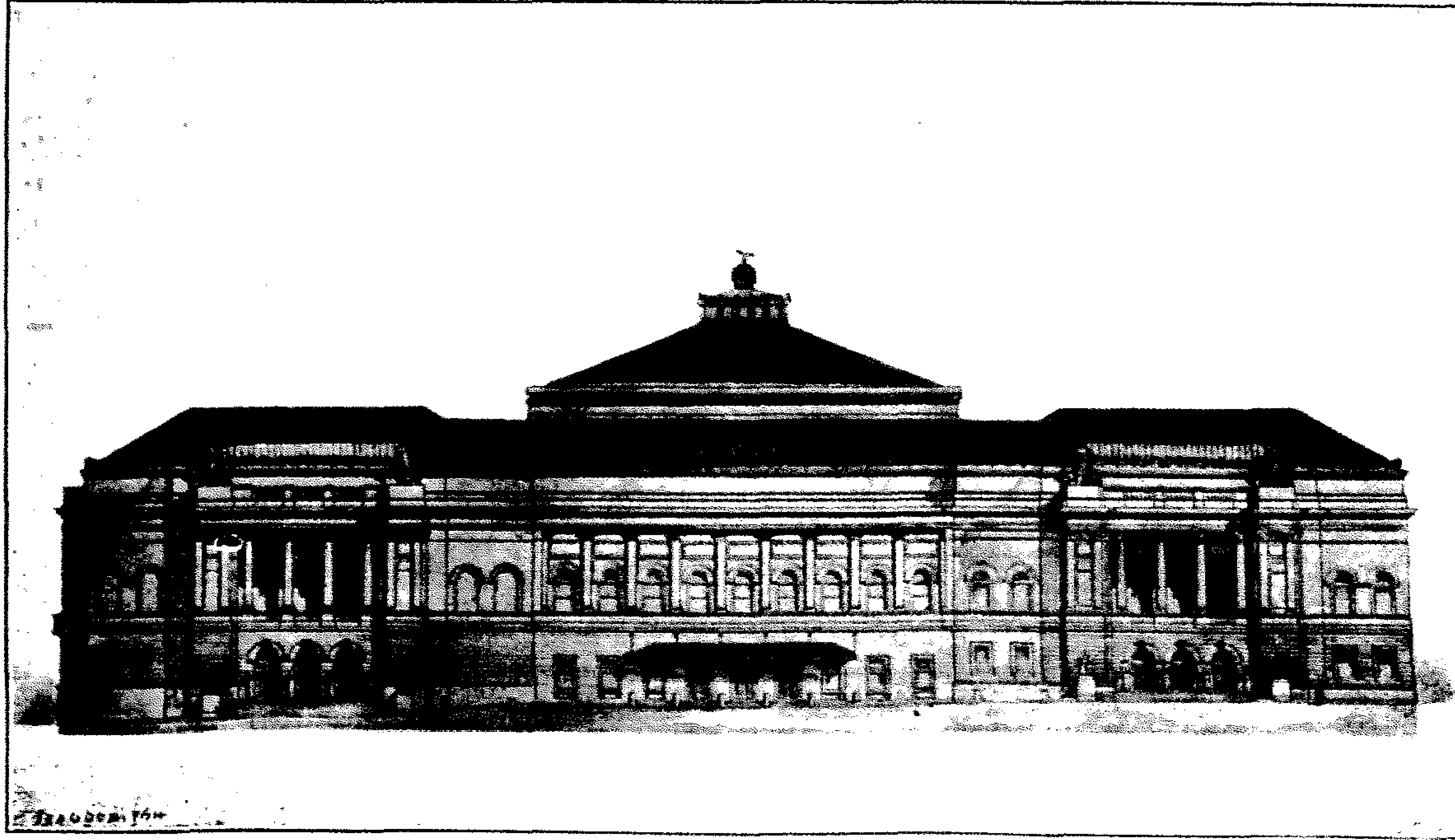
ولما صار في اوج الثروة قرّر الاستقالة من العمل وبذل ما جمعه في سبيل المنافع العمومية قال في رايه ما تعريبه «عن قريب ياتي اليوم الذي يموت فيه الغني الذي يخلف الملايين ولم ينفقها في حياته يموت هذا الغني غير مبكي عليه وغير مكرَّم وغير مرثي ومثل هولاء الاغنياء يحكم عليهم المستقبل الحكم الاتي «الرجل الذي يموت غنيًا يموت محتقرًا»

اما احسانات هذا الرجل فهي هكذا. في حزيران من سنة ١٩٠٢

بلغ مجموع ما وزعه من ماله ماية مليون ريال وهو اعظم مبلغ انفقه رجل فرد على الاحسان

وقبل ان سافر الى انكلترا سنة ١٩٠١ وزّع ٩ ملايين ريال هكذا — ٤ ملايين تنفق في سبيل رواتب تقاعد لعمال معمله الحديدي ومليون ريال للانفاق على المكاتب التي انشأها لمنفعة عمال معامله و٥ ملايين و٢٠٠ الف ريال لانشاء ٦٥ مكتبة في نيويورك ومليونًا لمكاتب مدينة سانت لويس . وبعد كل هذا الانفاق قال « انما بدأت الان توزيع المال » وبلغ عدد المكاتب العمومية التي انشأها في الولايات المتحدة فقط ٣٧٥ مكتبة ووزّع ما ياتي على المدن الاتية

| اسم المدينة | ريال |
|---|---|
| نيويورك | ٥٢٠٠٠٠٠ |
| بتسبرغ | ٩٥٠٠٠٠٠ |
| سانت لويس | ١٠٠٠٠٠٠ |
| اليكاني | ٢٧٥٠٠٠ |
| برادوك | ٥٠٠٠٠٠ |
| واشنطون العاصمة | ١٠٣٥٠٠٠٠ |
| جونستون | ٥٠٠٠٠ |
| فايرفيلد | ٤٠٠٠٠ |



مكتبة كارنيجي الكبرى في مدينة بتسبورغ

٩

| | |
|---|---|
| سان فرنسيسكو | ٧٥٠٠٠٠ |
| لويزفيل | ٣٥٠٠٠٠ |
| ديترويت | ٧٥٠٠٠٠ |

ثم انشأ المكاتب في ١٠ مدن من اسكوتلاندا وطنه الاصلي واعطى ماية الف ليرا انكليزية للمكاتب في كلاسكو وانشأ في اليكاني مكتبة بمبلغ ٢٧٥ الف ريال واهدى اليها ارغناً بقيمة ١٠ الآف ريال

واعلن للامة الانكليزية انه مستعد لانشاء مكتبة مجانية في كل مدينة من مدن انكلترا شرط ان تتعهد حكومتها بانفاق ١٠ بالماية من مقدار المال الذي ينفقه وارسل ٢٥٠ الف ريال الى مكتبة برمنكهام وامتاز في انه لا يحسن الى الكنائس الا بادوات الموسيقى وانفق مليوني ريال على انشاء قاعة للاحتفالات العمومية في نيويورك تعرف باسمه واحسن بمليوني ريال لمدرسة اسكوتلاندا

# اليصابات فيلبس

## وطنها . صغرها . عائلتها . والداها . اخوتها . مركز عائلتها . ثروة العائلة . موت والديها

ولدت اليصابات من والدين كريمين في مدينة بتسبرغ فوالدها روبرت برون فيلبس **Robert B. Phillips** من اصل انكليزي عريق في الشرف والمكانة ووالدتها فيوب لوجاي **Phebe Lougeay** من عائلة كريمة فرنساوية الاصل واشتهرت هذه المرأة بين معارفها في الطبقة العليا من الهيئة الاجتماعية بالرقة والفضل والادب ولها شهرة بعمل الخير والاحسان لكنها كانت تكتم مبراتها

وهذا ما ورد في جريدة بتسبرغ تيمس في وصف هذه العائلة

They ( Phillips ) are prominent Pittsubrg peoble..............
The late William B. Phillip Sr. for many years president of the Allegheny Valley Railroad, at the time of his death was possessed of a very large estate
A large bulk of the Phillips estate consisted of lands in the Twenty-second ward that have since his death largely increase in value and made the holders thereof among the wealthiest the many wealthy people living in the Squirrel Hill district.

وترجمته

« ان عائلة فيلبس من علية اعيان بتسبرغ والمرحوم وليم فيليبس

الاكبر كان عدة سنوات رئيساً لشركة سكة حديد اليكاني فالي ومات مخلفاً الاملاك الكثيرة واكثر املاك هذه العائلة موءلف من عقارات في ناحية ٢٢ ومنذ ذلك الحين قد ارتفعت اسعارها كثيراً حتى صار اصحابها الان من اوسع الناس ثروة بين العائلات الغنية المقيمة في ناحية سكويرل هل »

اما والدها روبرت فانكليزي الاصل كان والده الابن الاكبر لوالده الذي كان من اشراف الانكليز فاراد جدها ان يتزوج من فتاة يهواها وكره قومه ان تكون زوجته ولكنه تزوجها بدون رضاهم وهكذا جلب غضب والده اللورد عليه فحرمه من ارثه ورضاه ولما رأى ما آلت اليه احواله كره الاقامة في وطنه فهجره الى اميركا مع المرأة التي اختارها وكان كاهناً لطائفة الابيسكوبال فادى بهما الرحيل الى بتسبرغ وجعلاها مركزها وبعد وصوله الى اميركا بسبعة شهور سقطت عليه شجرة فقتلته وكان قد ولد له ابنه روبرت والد اليصابات واضطرت والدته الى اعالة العائلة بعمل يديها وكرهت الالتجاء الى عائلة زوجها الغنية في انكلترا . ثم ان روبرت دخل في خدمة معمل دخان وبعد ان اقام برهة تركه واستخدم في معمل زجاج من معامل المدينة المشهورة وهو معمل « بست وشركاه »

W. BEST & CO.

وكان روبرت يعمل في هذا المعمل مع شقيقه وليم ولبثا على

ممارسة الاعمال في معمل الزجاج هذا حتى اتقنا كل فروعه واشغاله وظهرت امانتهما واجتهادهما ظهورًا واضحًا وصارا موضع ثقة المستر بست ومودته فبعد مضي سنوات دعاهما المستر بست اليه وقال لهما « قد عزمت على التنحي عن الاشغال فان ثروتي عظيمة وصحتي لا تحتمل زيادة العناء ولما كنت قد رايت منكما اجتهادًا عظيمًا ودراية فائقة فانني اعطيكما المعمل تتوليان ادارته على مسؤوليتكما وبموجب درايتكما » وهكذا صار روبرت ووليم فيلبس صاحبا المعمل الزجاجي بعد ان تعهدا للمستر بست ان يدفعا له قيمة معلومة من الدخل في اقساط ولم تمضِ مدة حتى توفرت لهما اسباب النجاح والتقدم فدفعا المال واستقلا بادارة المعمل وملكه وصارت لهما ثروة مهمة ثم انهما اخذا حصة في معمل الحديد المعروف باسم Lion Sharb & Co. فدرت عليهما الارباح بغزارة

فلما صار روبرت في كهولته اثر عليه العمل المتواصل لانه كان حتى في ايام ثروته منعكفًا على مزج الزجاج بدراية ممتازة ونصح له الاطباء الانقطاع عن العمل او يموت في شهور قليلة فتنحى عن العمل واذ ذاك بنى منزله الجميل على اكمة كثيرة الاشجار تشرف على المدينة وذلك بعد زواجه بمدة ثم توفي سنة ١٨٨٨ وتوفيت زوجته على الاثر مخلفًا ثروة طائلة وعائلة مؤلفة من

وليم المتوفي

جامس وهو الذي سيرد اسمه كثيرًا في الحوادث الاتية وهو رجل لم يمارس عملاً في حياته بل هو يعيش في نعمة ورخاء من دخل املاكه وامواله

**شارل** المتوفي وكان من المحامين المشاهير

**روبرت** وهو من مأموري حكومة بتسبرغ

**جون** وهو طبيب في فيلادلفيا

**اليصابات** وهي الابنة الوحيدة الصغرى والتي هي موضوع هذه الحوادث

اما وليم شقيق روبرت وشريكه وعم اليصابات فكان من خيرة رجال البلاد اعطي لقب كولونل وهو الذي انشأ شركة سكة الحديد المشهورة حتى الان باسم ALLEGHENY VALLEY R. R. وكان رئيسها حتى مات وعند وفاته كانت ثروته ٩ ملايين ريال وكانت ثروة **روبرت** والد **اليصابات** مساوية لثروة اخيه **وليم ولكن** لما توفي عمه ابنه **جامس** فرفع دعوى على شركة سكة حديد بنسلفانيا خسر فيها اكثر ثروته وخسر الدعوى ايضاً بمعنى ان ثروة عائلة **فيلبس** بعد كل تلك الخسائر وعند ابتداء حوادث هذه القصة كانت مليون ريال فقط موزعة على خمسة حصص متساوية بين **جامس وروبرت وجون ووليم** واختهم **اليصابات** وفي عام ١٩٠٤ الحاضر حصلت شركة سكة حديد بنسلفانيا على حكم بمبلغ ٥ ملايين ريال على

عائلة **روبرت فيلبس** لكنها عجزت عن تحصيل القيمة او جزء منها لمرور الزمان

اما هذه العائلة فكانت في طليعة الطبقة العليا في المدينة وكانت والدة **اليصابات** زعيمة السيدات في الحفلات والاجتماعات والمآدب

وبما انني سابدأ فيما يلي بسرد وقائع الحادثة اقول ان عائلة **فيلبس** اذ ذاك كانت تقيم في منزلها الخاص على الاكمة وكانت **اليصابات** تعتني بالمنزل وادارته واخوتها قائمة مقام ام لهم ولديهم ٣ خادمات ومربية عدا عن الخدم ولديهم خيول وعربات

وقالت جريدة بتسبرغ تيمس عن الانسة اليصابات

Miss Phillips has been reputed to be worth nearly $ 100,000,00 in her own right, and she is of age. She is possessed of a vast amount of property, including stocks and other securities; and of lands located in various counties in this State and in the West, and is the possessor of some valuable lands in adjoining Counties, containing nearly 1,000 acres, She has a private box at the vaults of the Safe Deposit and Trust company, and has interest in a mortgage on the Contral Hotel property, The Monongahela Water Company, the Standard Underground Cable Company, the Peoplés Savings bank, the Duquesne Traction Company and certain building and loan association Stock. "Pittsburg Times"

وترجمته «يقال ان ثروة الانسة **اليصابات** فيلبس الخصوصية تبلغ ماية الف ريال وهي بالغة سن الرشد ولها قدر عظيم من الاملاك بما فيها اسهم وضمانات اخرى واملاك كائنة في مقاطعات متعددة في

هذه الولاية ( بنسلفانيا ) وفي الغرب ولها عقارات ثمينة في النواحي المجاورة تحتوي على نحو الف فدان ولها صندوق خاص في خزائن شركة ساف ديبوزيت وشركه الاحتكار. ولها اشتراك مالي في رهنية املاك سنترال هوتل وشركة مياه مونانكاهيلا وشركة الاسلاك الارضية و بنك الاقتصاد الاهلي وشركة دوكين كما ان لها اسهم في عدة شركات للبناء والدين

—✲❋✲—

## ﴿ الفصل الاول ﴾

### اسبيريدون جحا في اميركا. تجارته . حالة البيع هذه الايام بالنسبة الى الايام الماضية

سنة ١٨٨٩ وصل **اسبيريدون جحا** واخوه **جبرائيل** الى **نيويورك** في جملة العدد الغفير من السوريين المهاجرين وهو لا يعلم ما خبأه له القضاء من العناء المودي الى الراحة . والشقاء الذي مصيره الهناء . ومارس مع اخيه العمل الوحيد الذي انصرف اليه جميع المهاجرين في تلك الايام وهو البيع . لكنه بدأ من نصف الطريق اي بدأ ببيع الحرير وكان الحرير الشرقي يومئذ كثير الرواج وكل تحفة سورية مرغوب فيها عند الاميركان اولاً لقلة ورود تلك الاصناف ثم لقلة عدد الباعة

والبيع في تلك الايام كان يختلف كثيرًا عنه في هذه الايام فقد عرف الاميركان الان هذه البضائع واسعارها واجناسها وعرفها ايضاً كبار تجارهم فاحتكروها حتى سدّوا ابواب الرزق في وجه السوريين لانهم اكثر مقدرة منهم على مشتراها من مصدرها بكميات كبيرة وبالتالي باسعار ارخص ومن جهة اخرى فان عدد باعة هذه

الاصناف من السوريين قد صار كثيراً جداً حتى زاد على الحاجة فوضعت قوانين الرخصة التي تزيد على ٥٠ ريالاً في بعض المدن والذين يقرأُون هذا الكتاب من المهاجرين يعلمون الفرق العظيم بين بيع هذه الايام وبيع الايام الاولى اذ كان البائع مقبولاً في كل منزل يرحب به الاميركان وكان البيع قاصرًا على العائلات الغنية لان بضائع البائع السوري في ذلك الحين لم تكن من الضروريات التي يحتاج اليها كل الناس بل كانت من الكماليات التي لا يستطيع مشتراها سوى الاغنياء

وقضى اسبيريدون مدة في نيويورك وفلادلفيا ثم اتى الى بتسبرغ ولما رأى الاتعاب الملازمة للاشغال عزم على الرجوع لكن الاقدار حالت دون ذلك فمرض مرضاً شديداً الزمه الفراش نحو نصف سنة فلما شفي مارس بيع الحرير ولوازم العائلات مما خف حمله وثقل ثمنه . ولكي تعلم حالته اذ ذاك ومنزلته بين الاميركان انقل ما ورد عنه في جريدة بتسبرغ تيمس وهذا نصه

Spiridon J. Jeha, a Syrian, who for five years past had done a good buisness in the two cities selling silks, rugs, laces and other Oriental luxuries of the finest qualities among the fashionables

وترجمته

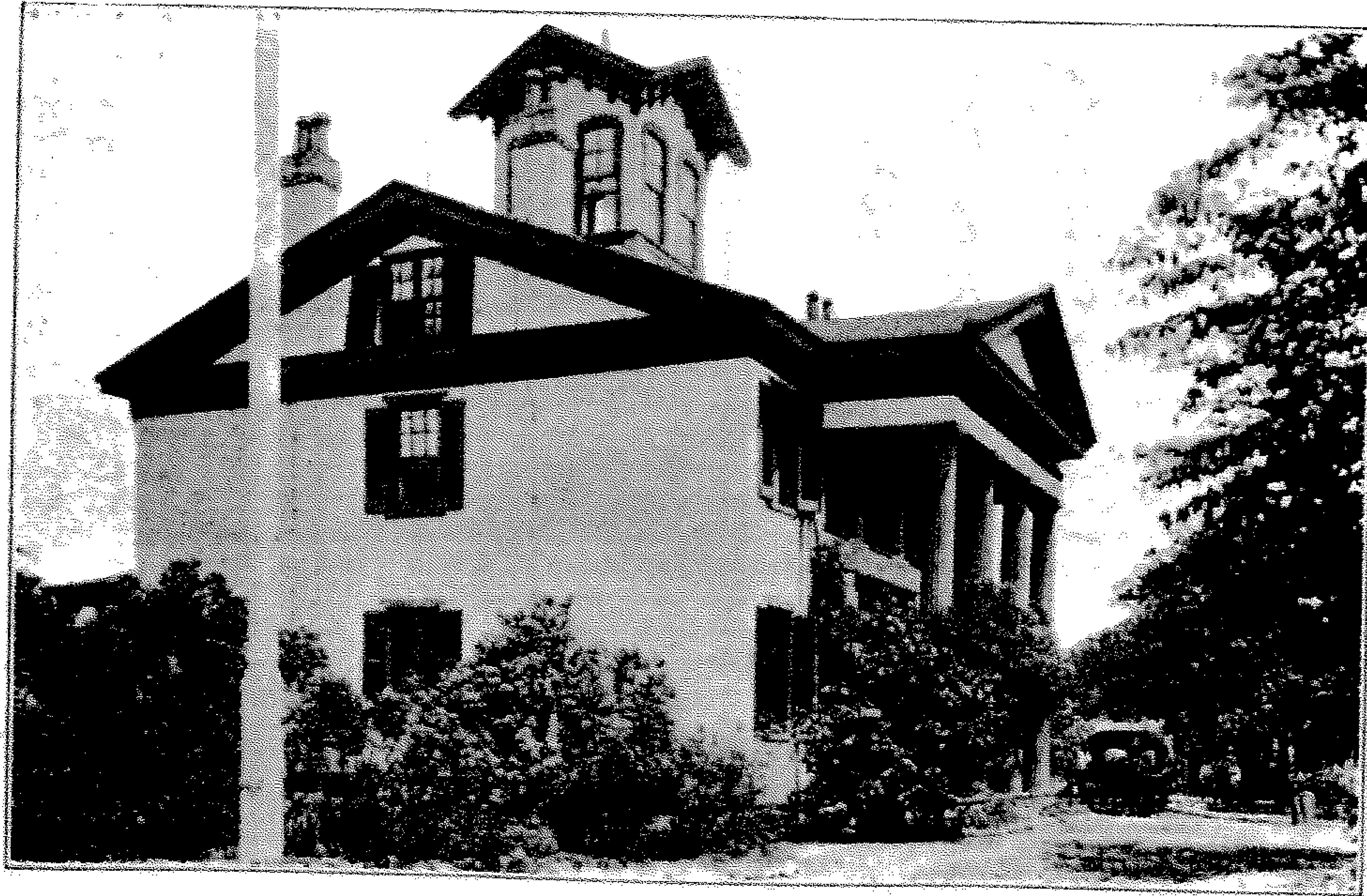
( ان اسبيريدون جحا سوري ما برح في السنوات الخمس الاخيرة يعمل عملاً جيداً في المدينتين حيث كان يبيع افضل

اصناف الحرير والسجاد واللايس وسائر الاصناف الشرقية بين الاشراف والاغنياء )

وكان في عداد الذين عرفهم من الامبركان رجل من مشاهير الاغنياء واصحاب المقامات اسمه **هنري جونز** وهو صاحب معمل حديدي مشهور واسع الثروة رفيع المقام وله علاقة خطيرة باهم حوادث هذه الحكاية

وفي جوار **بتسبرغ** بلدة صغيرة اسمها **هومستيد** اقام فيها مدة ثم رأى ذات يوم منزلاً جميلاً قام على اكمة عالية احاطت به الغابات والاشجار وعليه كل دلائل الثروة والجاه فاراد الدخول اليه شأن البائع المجتهد يطلب منازل الوجهاء والاغنياء وسأل عن سكانه فقيل له هؤلاء هم عائلة **فيلبس** ذات الجاه والثروة واذا زرتهم اشتروا كل ما لديك من البضائع

فسار ذات يوم على بركات الله حتى وصل الى سفح الاكمة فعثر على منزلين منفردين زارها واشترى سكانهما منه ثم سأل السيدة في احد المنزلين عن سكان المنزل المرتفع فاكثرت من الاطراء عليهم وقالت ان عائلة **فيلبس** غنية فسألها ان تكتب اسم العائلة على بطاقتها متخذاً ذلك وسيلة الى التوصل للعائلة المذكورة وسار صاعداً في الطريق المرتفعة المحيطة بالاكمة حتى وصل الى الحديقة . وكان النهار شديد الحرّ وقد تعب **اسبيريدون** من المسير ومع ذلك فحالما



10

منزل عائلة فيلبس حيث ولدت اليصابات

صار في دايرة ذلك المنزل شعر ان اثقال همومه واتعابه قد زالت عنه كأن عين ضميره نظرت الى المستقبل· وراى في الحديقة رجلاً يدير عدة رجال يتولون جمع الفاكهة من الاشجار فدنا منه وحياه فردّ التحية بلطف ورقة ثم اخبره اسبيريدون انه بائع ولديه بضائع حسنة جديدة فرحب الرجل به كثيرًا وادخله الى المنزل وامر الخادمة ان تقدم له كأس شراب تبريدًا لغليله والحّ عليه ان يتناول الطعام معهم فابى اسبيريدون تأدبًا ولكنه فتح جزدانه وعرض بضاعته التي كانت نسائية على الغالب

وهذا ما قالته جريدة بتسبرغ تيمس في وصفه ومنزلته

He was |a handsom fellow, about 30 years old, spoke English *perfectly*, and was quite a favorite among the *exclusive class* with which he had buisness

وترجمته « كان شابًا جميلاً في نحو الثلاثين من عمره يحسن التكلم باللغة الانكليزية وكان محبوبًا بين طبقة الاعيان الخاصة التي كان يتعاطى اشغاله معها »

—✲✲✲—

## ﴿ الفصل الثاني ﴾

### اجتماع اسبيريدون واليصابات لاول مرَّة

كان الرجل الذي استقبل **اسبيريدون** في منزله ورحب به كثيرًا يسمى **جامس فيلبس** ويعرفه القاري من مراجعة وصف اولاد **روبرت فلبس** وهو اهم الذين يمثلون ادوار هذه الرواية ولو علم ما سيكون له مع ضيفه في المستقبل لفتك به في تلك الزيارة الاولى ولكن الاقدار مخبوءة في ذيل الكتمان والمستقبل لله

وفتح **اسبيريدون** جزدانه وبدأ يعرض بضاعته على **جامس** وابنة اخيه **ايفا** وهي في الخامسة عشرة من عمرها ولها ميل الى الهزل واللعب ولها جمال بارع فكانت تجول حول البضائع وتعجب بها بلهفة اعجاب البنات ومع جمالها الفتان وصباها لم تؤثر على **اسبيريدون** اقل تأثير فكان ينظر اليها نظرة بائع الى ابنة يرجو ان تؤثر عليها بضاعته ليربح من ميلها ثم ان **جامس** نظر الى احدى الخادمات وقال

— اذهبي **ياحنة** وقولي **لاليصابات** ان تأتي الى هنا لترى البضائع النفيسة

وبعد قليل عادت الخادمة تقول

— ان سيدتي مشغولة

قال **جامس**

— قولي لها ان بائعاً شرقياً يحمل اصناف البضائع الجميلة التي تميل اليها

قالت الخادمة . قد وصفت لها البضائع فلم يرق لها ذلك

وكانت ايفا قد دهشت لمرأى تلك البضائع فخرجت الى اليصابات وسالتها الحضور فابت ولكن الفتاة اصرّت وهكذا بطريقة الهزل جرّت **اليصابات** جرًّا بين الضحك واللعب واخذتها من بين اشغالها اليدوية اذ كانت لاهية مع الخادمات في استحضار بعض الحلويات وادخلتها كما هي بدون ترتيب ولا استعداد الى القاعة . وكانت **اليصابات** في ثوب بسيط الزي ازرق اللون وشعرها غير مرتب وقد تجرد زنداها اهتماماً بالعمل . فدخلت القاعة دخول المكره يتنازعها عاملان بين ان تغضب لاصرار **ايفا** واكراهها على المجي وبين ان تضحك لضحك الفتاة

وما لبث **اسبيريدون** ان رآها داخلة على ما وصفنا فلما وقعت العين على العين دقت القلوب وتبادلا نظرات الرضى القلبية فرات الفتاة في هذا الشرقي رجلاً صبوح الوجه طلق المحيا كثير الرزانة عليه مظاهر الترتيب والرقة فاستوقف نظرها كما استمال خاطرها وما لبثت ان نظرت اليه كزائر لا كبائع لانه احسن التصرف في سلوكه وحديثه وعرض بضاعته فلم يكن جسوراً وقحاً بل كان عارضاً لا

يصرّ على انفاق سلعه

وحري بالذكر ان اليصابات لم تكن حتى هذا النهار قد صبت الى رجل آخر فانهـا بعد وفـاة والدتها انصرفت الى الاهتمام براحة اخوتها ومع كثرة زائري منزلهم ووفرة ثروتها واقبال الشبان على استمالتها لم تجد فيها ميلاً الى شيء من ذلك فلما رات الشاب السوري كان الحب من اول نظرة وصادف هواه قلباً خالياً

وراى **اسبيريدون** الفتاة داخلة على مـا وصفنا من الفرق بين مظهرها ومظهر **ايفا** فشعر للحال بميل اليها كانما استماله منها دون **ايفا** سلوكها ورزانتها وعدم التكلف والبساطة الظاهرة في فتاة لها ذلك المقام وتلك الثروة ومع ذلك فهي تكرس ساعات يومها للاعمال اليدوية شأن البنات ذوات التربية الحسنة

ثم ان **اليصابات** نظرت البضائع وسرت بها كثيرًا حتى كرهت ان يرحل البائع واكثرت من تقليب الامتعة

فقد كان اهتمامها الحقيقي بالرجل لا ببضاعته ولكن الحيلة في الحب جائزة ثم اشترت منه قطعة حريرية هي غطاء طاولة ولا يزال ذلك الغطاء الذي استعمل ستارًا لمظهر الحب المتبادل محفوظاً في بيت الزوجين الى الآن. اما **اسبيريدون** فانه شكر لها مكارمها واراد الانصراف فخشيت الفتاة ان يكون هذا آخر عهدها به وارادت ان تراه ثانية ومنعها الادب والتربية عن التصريح فعمدت ثانية الى

اسبيريدون لما راى اليصابات اول مرة سنة ١٨٨٩

11

الحيلة وقالت

— قد احببت جنس بضاعتك فارجوك ان تعود الينا مرة ثانية بما يجدّ لديك منها

— ثم خافت ان لا يكون هذا ضمانة كافية لرجوعه فقالت

— لكن الاوفق ان تترك عنوانك عندنا حتى اذا احتجنا الى شيءٍ مما لديك دعوناك

— قال اسبيريدون

— ان حسن معاملتكم لي يحملني على الشكر الوافر وسوف اعود حالما تحضر بضاعتي الجديدة

وانصرف اسبيريدون في سبيله فلم يذكر المال الذي قبضه من اليصابات وانما ذكر اليد التي دفعت والعين التي نظرت والفتاة التي خاطبه نظرها خطاباً غير مفهوم الا لدى المتماثلين في الاميال

مشى اسبيريدون من ذلك المنزل سائرًا في نصف دائرة من الطريق نزولاً الى الوادي ورجوعاً الى محله واخذت الخواطر تزدحم في ذاكرته وخطر له شأن كل شاب خواطر كثيرة كانت تزعجهُ. قال في نفسه انا بائع حرير وهذه الفتاة ذات مقام وثروة كما بلغني من كثيرين وكما ظهر من مظهر معيشتها وهي محاطة بكل اسباب النعيم فكيف يخطر لي ان اطمح باما لي اليها — انها احلام. ولكن نظرها كان نظر استمالة وحديثها حديث انعطاف واصرارها على رجوعي

احرار رضي اذاً سارجع واراها

وشعر من ذلك الحين براحة في حضورها وسرور من مقابلتها

ولم يشعر جامس وايفا بشيء مما دار بين عيني اسبيريدون واليصابات ولكن حنة رأت وادركت ان تلك المقابلة اشعلت نارًا في قلبيهما ذلك شأن الخادمات لهنّ انصراف الى الاهتمام بما ليس من شأنهنّ ولكنها لم تكن على ثقة من صحة ما تراءى لها فكتمت امرها واقامت تنظر وهي في التفكير والله في التدبير

وحنة هذه والخادمة الاخرى دينا لها دور مهم في القصة بدليل ما ورد عنهما في جريدة بتسبرغ تيمس قالت عند ذكر الدسيسة ضد اسبيريدون

Dena Kehler, a servant employed in the Phillips family, and Jacob Koeblisky, and Annie, his wife, were also charged with being in the conspiracy

وترجمته « ان دينا كوهلر الخادمة في عائلة فيلبس وجاكوب كويلسكي وحنة امرأته اتهموا ايضاً بالاشتراك في الدسيسة »

—✲✲❋✲✲—

## ﴿ الفصل الثالث ﴾

### كل شيء يبدأ صغيرًا ثم يكبر الا المصيبة تبدأ كبيرة ثم تصغر · ابتداء الحب واساسه

مضى على الحادثة السابقة ثلاثة شهور قضاها **اسبيريدون** تارة بالبيع وتارة بالتجارة متنقلاً من مكان الى اخر ولكنه لم يخرج من جوار **بقسبرغ** وكان يود ان يزور بيت **فيلبس** ولكن الحشمة تمنعه وهو يخشى ان يكون ثقيلاً بكثرة تردده· ثم راى ان مدة ٣ شهور كافية لمنع الظنون فذهب الى المنزل وهو يقدم رجلاً و يؤخر اخرى ولا يعرف كيف يكون استقبالها له فتصوّر سروره ودهشته اذ اسرعت **اليصابات** هذه المرة الى مقابلته واكثرت من ملاطفته حتى سرّي عنه كل خوف وخشية وراى انها مرتاحة الى محادثته واشترت شيئًا من بضاعته

وواصل الزيارات بعد هذا واخذ يستعمل الحيلة واسطة للزيارة فكان من حين الى آخر يحضر بضائع جديدة لا حاجة اليها ولكنه كان يجعلها سببًا للزيارة · وكانت هي ايضًا تستعمل الحيلة لتكرار مقابلته فكلما اشترت منه بمائة ريال تدفع له قسمًا منها وتسأله الرجوع لاستيفاء القيمة بدعوى انها غير متوفرة لديها ساعتئذٍ

وما لبث اسبيريدون ان شعر ان الابنة ميالة اليه ميلاً خصوصياً فلما صار على ثقة من ذلك وكان قد مضى على تعارفهما نحو ٣ سنوات عمد ذات يوم الى تعزيز علاقته معها فاخذ نسخة عربية من الانجيل وارسلها اليها مع البريد واردف الهدية بالتحرير الاتي تعريبه

حضرة الانسة فيلبس

من مميزات الشرقي كما تعلمين من دروسكِ ومطالعاتكِ انه شديد الشعور بالاكرام كثير الحرص على مقابلته بالشكر ولما رايت في مقابلاتي المتعددة انكِ تميلين الى المصنوعات الشرقية تجاسرت على اهدائكِ اعظم موءلف شرقي وضع في الشرق مهبط الوحي الالهي وهو الكتاب المقدس بلغتي العربية فمع علمي انكِ تجهلين هذه اللغة لا اجهل انكِ تعلمين محتويات هديتي وبالتالي تعلمين مقدار اكرامي واحترامي (اسبيريدون جحا)

وكتب على الانجيل ما ياتي

بتسبرغ في ١٩ ايار سنة ١٨٩٣

اهدي هذا الكتاب المقدس دليل اكرامي الى الانسة اليزا ب فيلبس تذكاراً من (اسبيريدون جحا)

واقام ينتظر ما يكون من قبولها الهدية هل يكون قبولها بدليل عادي ام هل تكتب اليه . واما هي فما ابطأت ان ارسلت اليه في الغد الجواب الاتي تعريبه

حضرة المستر جحا

ان اختيارك الكتاب المقدس دون سواه هدية لي هو افضل دليل على صدق حسن ظني بك واعتباري لشخصك وادابك وتاكد اننا سررنا جدًّا اذ عرفناك وندعو لك بالنجاح التام اليصابات

فيلبس

وبعد ايام جاءه منها التحرير الاتي تعريبه

حضرة

انقطعت عن زيارتنا هذه المدة فانا محتاجة الى قطعة من الحرير (وهنا وصفتها له) كنت قد رأيتها معك مرة واريد مشتراها فارجوك احضارها باسرع ما يمكن واذا لم تكن باقية معك فالرجاء احضار ما يماثلها

وكان هذا الكتاب منها بمثابة دعوة لاسبيريدون فزارها وكرر الزيارة وكان يلقى كل ترحاب من اخوتها وكل رعاية من جميع افراد العائلة . وفي اخر مرة كان جامس حاضرًا وكانت تودّ ان لا تدفع لاسبيريدون كل ثمن البضاعة حملاً له على الرجوع العاجل ولكنها اضطرت الى كتمان ما جال في خاطرها فاعطته شكاً بالقيمة ولا يزال الشك في حوزته الى الان

## ﴿ الفصل الرابع ﴾

### الحب الصحيح يرقي النفس · الحبّ في المدرسة
### « الحب رباني وعلمني الادب »

اذا سمع الانسان منشدًا في حفلة طرب ينشد الدور المشهور « الحبّ رباني وعلمني الادب » لا يخطر له ان هذه العبارة المألوفة الان كثيرًا تحتوي على حقائق كثيرة · فان الحب في كل احوال الانسان وتقلبات التاريخ منذ نشأ العالم ما برح يؤدي الى الارتقاء وهو حقيقة يعلم الانسان ويرتقي به الى درجات عالية خصوصًا اذا كان المحبوب متعلمًا مهذبًا فان طبيعة الرجل تحمله على عمل كل ما يرضي معشوقه · يكون الشاب في اوائل امره مهملاً مسرفًا لا يهمه الارتقاء والتهذيب البالغ ولا يحفل بشيء من احوال التحسين اذ لا دافع يدفعه الى شيء من ذلك ولكن متى دخل نور الحب الى فؤاده انار عقله وحدّد ذهنه وشدّد مواهبه فهو يريد ان يزيد في قيمته وان يعلي من مقامه ولا شيء افضل من العلم خصوصًا في هذا العصر وفي هذه البلاد · فهو يجعل الشاب في مركز اسمى من مركزه الاصلي · الا ترى ما كان من امر يزيد لما عجز عن قول الشعر في شبابه خلافًا لعادة العرب فلما عرضوا عليه حسناء ذات جمال ارتجل على ما يقال

قصيدته المشهورة

نالت على يدها ما لم تنله يدي    نقشاً على معصم اوهت به جلدي

كذلك كان حال الحب وتاثيره على اسبيريدون فانه لما آنس من **اليصابات** ميلاً اليه وعلق الامل على احرازها زوجة له وعلم منزلتها ومنزلة عائلتها من الادب والتهذيب المشهورين في الطبقة العليا من عائلات الاميركان — نظر الى ذاته فراى قلة استعداده بحكم قلة اسباب التعليم في سوريا يومئذٍ وقال في نفسه

اذا كنتُ استملتُ عواطف هذه الفتاة وكان في نيتي الحصول عليها لحقها على اكرامي ومودتي ان ارقي ذاتي لاكون اهلاً لها ولاصير قادراً على مقابلتها بمثل تهذيبها

كل هذا حمل الشاب على ترك البيع ما دام قادراً من حين الى آخر للتردد على ديار العلم والتهذيب واكتساب ما امكن منها والاجتماع بخيرة الاقوام. فشمّر عن ساعد العزم لاحراز العلم مع مزيد احتياجه الى العمل لاحراز المال اللازم. وفي تردده على بعض كرام القوم صادفه حسن الحظ فعرف ذات يوم رجلاً تليانياً وسأله ان يساعده على تلقي العلوم والاكتساب وساعده هذه المرة حسن توفيقه في كل اعماله فلقي من هذا الرجل مودة وميلاً افاداه كثيراً في مستقبله وهكذا ازداد معرفة وعلماً واطلاعاً على عادات الاميركان واخلاقهم وادابهم وارتقت نفسه وعرف الفريق المرتقي من الاهالي فصار صديقاً لهم لا بائعاً فقط

## ﴿ الفصل الخامس ﴾

### ثبات الامل · الخادمة · مقدمات الخطبة

كل ما تقدم ذكره من ميل الشاب والفتاة كان محصورًا في خاطرها ولم يظهر الى حيز الوجود ولا لفظا لفظة حب ولا تظاهرا بعمل يفشي سرّها لاخوتها واقاربها · ولكن للخادمات في كل بلاد وكل منزل اعين مراقبة وخواطر حادة . وكانت **حنة** كبيرة خادمات عائلة **فيلبس** وكانت في منزلة مربية **لاليصابات** اوصتها امّ الفتاة عند وفاتها ان تلزم ابنتها وتعتني بها وتحرص على راحتها فاقامت **حنة** مع والدتها الشيخة في المنزل ولها مكانة عظيمة

وانفردت **حنة** ذات يوم بسيدتها **اليصابات** فجرى لهما حديث فقالت **حنة**

— يدهشني ان الخواجا **جحا** اطال غيابه عنا

— ولماذا يدهشك امر الرجل وهو غريب **لا** يهمنا امره وبائع لا يعرف مقره فهو رحالة من مكان الى اخر وربما لا يعود الينا ولا نراه

— ارجو ياسيدتي ان لا يكون ذلك واؤكد انه **لا** ينقطع من تلقاء نفسه عن المجيء فانما هو كثير الميل الى هذا المنزل ولا يمنعه عن كثرة التردد الا ادبه وجمودكِ

— وماذا تعنين **ياحنة** بهذا الكلام

— عفواً سيدتي فانا اكبر منكِ عمراً وبالتالي فانا اكثر اختباراً ، وقد قرأت في عينيّ هذا الشاب السوري قصائد التعلق بفتاة اعرفها

— وماذا يهمني امر هواه

— لا تكتمي عني الحقيقة فانني قرأت في عينيكِ مثل الذي قرأت في عينيه وهل في الحب عار ياسيدتي

— هل تعنين انني اهواه

— لا اتجاسر على كل هذا التصريح ولكن اتجاسر فاقول انك لا تكرهينه

— صدقتِ **ياحنة** فهو شاب مهذب لطيف والان وقد بدأتِ هذا البحث اقول لكِ سراً انني اميل اليه كثيراً وهو اول رجل مال اليه قلبي ولا اخفي عنكِ انني ازداد تعلقاً به فاذا تزوجتُ لا يكون زوجي الاّ هو

— حسناً تفعلين ياسيدتي فانكِ تجدين فيه رجلاً محباً اديباً يوفر لكِ الراحة خلافاً لما يصيب بناتنا مع اكثر شباننا الاميركان الذين اشتهروا بجرأة ووقاحة . وهؤلاء الشرقيون يؤلهون زوجاتهم كما اسمع خصوصاً متى اتفق لواحد منهم ان يجمع بين فضيلة الشرقي وتهذيب الغربي

— اراك ياحنة باحثة في اخلاق الشعوب ولكن دعينا من هذا البحث الان واكتمي ما قلته لك كل الكتمان ولا تظهري له او لاخوتي شيئًا من ذلك

وانت تعلم ايها القارىء ان المرأة موصوفة بعدم المقدرة على الكتمان ومع ان حنة ارادت ان تصدع بامر سيدتها لم تجد بدًّا من افشاء سرها فلم تجد اوفق من والدتها فاخبرتها بما كان واتفقتا على ترويج مصلحة الشاب الشرقي ومساعدته

—✲✲✲—

## ﴿الفصل السادس﴾

## تردُّد المرأة قبول

قال اسبيريدون في نفسه

— لا اظن ان هذه السيدة تحتاج حقيقة الى كل هذه البضائع فهي تشتري الشيء الكثير منها وتشتريه في دفعات متوالية فما الذي يجول في خاطرها وكيف اقدر ان اعرف مقاصدها

وحاول ان يقف على الحقيقة منها اذ زارها ذات يوم فقال اثناء الحديث

— انني شاكر لكِ اقبالكِ على مساعدتي بشترى هذه البضائع التي اظن انها ليست لازمة لكِ

— اخطأت فانني استعمل اكثرها اذ احب ان ازيّن المنزل بالامتعة الشرقية لانها جميلة ثم انني اهدي الكثير منها الى صديقاتي

فاخرج اسبيريدون غطا طاولة شرقي جميل ومدّه امامها فاعجبت به كثيرًا فقال

— انه ستار جميل جدًّا لطاولة حسنة فاذا اشتريته يكون افضل زينة لمنزلكِ الجديد

— واي منزل جديد تعني فهذا منزلي

— اعرف ذلك ولكن عندنا في الشرق حكمة غير مجهولة عندكم وهي ان كل ابنة انما هي ضيف في منزل ابويها الى ان تتزوّج فتكون اذ ذاك في منزلها

— لا انكر صدق هذه الحكمة الشرقية ولكنني خارجة عن هذا القياس فانني لا ارغب في الزواج ولي من منزلي والعناية باخوتي بعد موت والدتي ما يلهيني عن الاهتمام بذلك

ثم ارادت تغيير الحديث فقالت على الاثر

— ولكنني اشتري هذا الغطاء لاستعمله في حفلة الاعياد

اما **اسبيريدون** فانه اكتفى بما علمه هذه المرة من حديثها . علم انها تشجعه على الميل اليها وانها لا تكرهه لانها اجازت له محادثتها بهذا الموضوع الخصوصي ولم ترده ردًّا عنيفًا ولاحظ من حديثها ما شجعه على زيادة الانعطاف

فلما آنس منها كل ذلك اخذ يكثر التردد فلا يطيل بين زياراته وكان من حين الى اخر يحوّل مجرى الحديث الى سعادة الزواج ووجوبه حتى ملك واياها حرية المحادثة خصوصًا بعد ان علم من **حنة** انها لا تهوى رجلاً آخر وانها لا تميل الى احد من الشبان الذين يترددون على عائلتها فوجد ان قد خلا له الجو

* * * * * * * * *

وكان **جامس** شقيقها يميل الى **اسبيريدون** و يرتاح الى محادثته

ويردد قوله انه يود زيارة الشرق والسياحة في والسياحة في سوريا والارض المقدسة وانه اذا زارها لا يودّ ان يرافقه الا اسبيريدون

* * * * * * * * *

قلنا ان اسبيريدون علم من محادثة الفتاة ومن حديث حنة ان اليصابات تميل اليه فزارها ذات يوم وهو ينوي حلّ الاشكال وعرض حبه اذ كان قد مضى زمن طويل على قلقه واضطرابه واميالة

فلما دخل المنزل قابلها في القاعة وكانت هناك وحدها فجرى لهما حديث انتهى بهما الى ذكر سوريا فاخذت تساله عنها وهو يشرح لها ويصوّر وطنه بالشكل الذي يهوى كل انسان ان يكون وطنه فيه ثم قال.

— هل تودين ان تزوري سوريا كما يود ذلك شقيقكِ

— نعم ارغب ذلك كثيرًا فانني ميالة الى السياحة راغبة في درس اخلاق الامم فان التجوّل هو اعظم مدرسة للانسان

— وهل تذهبين اليها وحدكِ

— بل يرافقني اخي الذي علمت منه عظيم ميله الى زيارة سوريا

— حبذا لو تمت هذه الزيارة وحبذا لو اكون في سوريا عند ذلك فاراكِ هناك واقابلكِ بشيء من الاكرام الذي قابلتني به

— ولماذا لا تذهب معنا فكم يكون سفرنا سوية جميلاً وكم نستفيد من وجودك

— ولكن انتِ تعلمين ان المسافة بعيدة والسفر شاق والبلاد

غريبة وعاداتها غير مألوفة منكِ . الا تفضلين ان تزوريها ومعكِ رفيق يعتني بكِ اكثر من عناية الاخ ويحرص على راحتكِ حرصاً لا تجده الاخت من اخيها

فاجفلت اليصابات لهذا السؤال الصريح وعلا وجهها احمرار زاده بهاء وزاد اسبيريدون ميلاً وقالت

— ماذا تعني

— لا شيء سوى ان تسمحي لهذا السوري الذي عرفتهِ من زمان ان يكون له حق حمايتكِ ومساعدتكِ ومرافقتكِ

— انا لا افهم مرادك

— الان وقد بدأتُ فلا اتوقف عن التصريح . انني منذ رأيتكِ ملتُ اليكِ ميل كل رجل يريد ان تكون حياته سعيدة . فاذا كان قلبكِ حرًّا وكانت يدكِ حرّةً وكنتِ تحسنين بي الظن كما ارجو فامنحيني حق محبتكِ واسمحي لي ان اكون رفيقكِ اولاً في السفر الى سوريا ثم في سفر هذه الحياة الطويل

فاحمرّ وجهها وحوّلته تحويل الخجل والارتباك فقال

— الانَ وقد صرّحتُ بافكاري فصرّحي انتِ

اذ ذاك وقفت اليصابات لا تتكلم واقام اسبيريدون ينتظر الجواب ودقات قلبه تزداد وحيرته تعظم . ثم رأى ترددها عن الجواب فذكر المثل الانكليزي القائل « متى ترددت المرأة فقد

رضيت » ولكنها ما لبثت ان نظرت اليه نظرة الرضى يمازجه التردد والريب ثم قالت

— ان سؤالك جاءني فجأة . فانا لا اعلم الان ماذا اقول

— اما انا فقانع منك بالامل راضٍ بالانتظار الى ان تنظري في الامر

وعاش اسبيريدون الايام التالية على الامل وكان كثير التردد وفي كل زيارة يستأنف محادثتها وتسهيل الجواب حتى اجابته ذات يوم

— انني راضية بك ان اراد الله على ان لا تعجل في الامر وان تكتم ميلنا عن اخوتي

— ولماذا اكتم الامر وقد اتفقنا عليه

— لانك لا تعلم كل شيء واخوتي ينظرون اليك الان بمودة واكرام لانك زائر فقط . فمتى علموا انك خاطب انقلب الامر وتغيرت اميالهم فهم يكرهون ان اتزوج لانهم يكرهون ان اتركهم واترك العناية بهم وكلما علموا بميل شاب اليّ صرفوه ومنعوه عن التردد ولعلهم ينوون لي زواجاً باحد معارفهم فاتبع نصحي والزم الكتمان

وهكذا انصرف والسرور ملء فؤاده وقد ابيضت الدنيا في عينيه ورأى كل شيء جميلاً . وعزم ان يكرّس حياته لها وان يقيم على هواها مهما حالت المصاعب

## ﴿ الفصل السابع ﴾

### القبلة الاولى · الحب الصحيح

صار المنزل الكائن على الاكمة المشرف على **سويسفال** **وهومستيد** قدساً يحج اليه **اسبيريدون** فيزوره ما استطاع · ولو عانى **اديسون** في اختراعاته ما عاناه هذا الشاب في اختراع الاعذار لزيارته لملأ العالم باكثر اكتشافاته الشهيرة التي ملأت العالم مجداً ومدنية ونجاحاً

وحدث ذات يوم انه وصل الى المنزل فرأى **حنة** ووالدتها ورحبتا به كثيراً اذ علمتا حقيقة حاله واميال سيدتها فكان من شانهما الميل ايضاً اليه استجلاباً للرضى المزدوج ولما تجده النساء غالباً من المسرّة في خدمة العاشقين · وفيما هو ينتظر قدوم **اليصابات** جاءت **حنة** فصرحت له ان سيدتها تحبه وانها هي مسرورة لما اصاب سعيه من النجاح وانها تدعو له بمزيد السعادة والهناء وان نصيبه حافل بالراحة لان سيدتها من فضليات البنات جديرة بكل حب واكرام فشكر لها **اسبيريدون** غيرتهما

ثم ان **حنة** قالت له — سر معي الى الحديقة تشاهد جمالها وتستنشق عبير ازهارها ريثما تحضر **اليصابات**

فسار معها وهو لا يعلم ما تكتم من عزمها الذي اتفقت عليه مع امها . و بعد ان جال برهة في الحديقة جلس على مجلس هناك بين الخمائل ومن حوله الازهار والاشجار الغضة فتأمل بما حوله تأمل المحبّ فرأى مثال **اليصابات** في كل شيء هناك . فالاشجار الباسقة مثلت قوامها والاغصان رقتها والزهر طيبها . وتصوّرها كل يوم جائلة بين تلك العرائس الطبيعية فتمنى ان يكون لكل غصن لسان ولكل وردة فم ليسمع ما يحدثان عنها

ثم انتبه من تاملاته الى حفيف اوراق الشجر و برزت من خلالها **اليصابات** وحيته فردّ التحية بمثلها وجلسا على المجلس سوية وهي ترحب به وتساله اذا كان قد سرّه منظر الحديقة وحالها . وكانت **حنة** هناك ثم حضرت والدتها فاشترك الجميع في الحديث الى ان دنت **حنة** من جانب وامها من جانب آخر ودفعتا **اسبيريدون** حتى مال الى **اليصابات** وشدّتا به حتى صار اقرب اليها من قاب قوسين فرسم على وجنتها ختم المحبة بين ضحك المرأتين

واذا **باليصابات** قد افلتت كالغزال الشارد ووقفت حانقة وجال الدمع في عينيها ثم ظهرت دلائل الغضب والاستياء وقالت

= هذا غير ما كنت انتظره منك فقد عرفتك حتى الان فتى كامل التهذيب فما بالك تفعل ما يحملني على الريب

فنظر **اسبيريدون** الى **حنة** ووالدتها نظرة العتب والملام وقال

لاليصابات

= عفوًا لما اردتُ شيئًا من ذلك ولكنهما دفعتاني

فقالت اليصابات

= هذا اعتذار آدم فالقى الذنب على حواء وانت تزيد عليه فتلقي الذنب على امرأتين

قالت حنة

= انما اردنا الانبساط والهزل فلا سبيل الى العتاب

اما اليصابات فانها انتهرت الخادمة حتى الزمتها الصمت ثم نظرت الى الشاب نظرة اثرت عليه كثيرًا وقالت

= لست ارى لك عذرًا فيما اقدمتُ عليه فانت تظهر خلاف ما املته · قد سمحت لك بمحادثتي وحتى الان لم امنحك الحق الذي يؤهلك لهذه الحرية فانت اذن تريد اهانتي · انت تحتقرني · اذ لو كانت لي كرامة لديك ما عاملتني هذه المعاملة

اما اسبيريدون فانه استعمل كل جهده لبيان اسفه واعتذر بما وسعه الكلام فلم يقع لديها الاعتذار موقع القبول ولم تمحِ علامات الكدر عن وجهها · فخطر له خاطر فقال

= ان كدركِ هذا واصراركِ على عدم الرضى واظهاركِ هذا الاسف واحمرار وجهكِ كل ذلك يزيدني حبًا لكِ واكرامًا لادبك وتعلقًا بكِ

— كيف ذلك وقد فعلتَ ما ينزل مقامي في عينيك لو سمحت لك به مختارة

— ذلك صحيح ولكنكِ لستِ مختارة وقد وقع مثل هذا الحادث لاحد رجال العرب كما اذكر من تاريخهم فان سمحتِ لي حدثتكِ بحديثه فتعلمين اننا معشر الشرقيين على خلاف ما تتصور بن واذ ذاك ربما تغفرين لي

وفيما هو يتكلم بهدو وسكون ورزانة سرّي عنها واخذت تصغي فلم ينتظر جوابها بل استأنف الكلام فقال

اشتهر بين العرب رجل اسمه **جميل** يحب فتاة اسمها **بثينة** حتى نسب اليها وصار معروفًا بها فيقال (جميل بثينة) ومنعه اهلها عن زيارتها فجاءها ذات يوم خفية واجتمع بها في خيمة ودرت خادمة باجتماعهما فوشت الى اهلها فاسرع والدها وشقيقها وقد اشتملا سيفيهما الى الخيمة يريدان الفتك **بجميل** ثم وقفا خارجًا يصغيان لحديثهما فسمعاها يتشاكيان الغرام والفراق الى ان قال لها **جميل** هل لكِ ان تسمحي لي بما يفعله المتحابان فانال قبلة منكِ فنفرت **بثينة** منه ونظرت اليه شزرًا وقالت

والله لقد كنت عندي بعيداً عن هذا ولو عدتَ اليه لن ترى وجهي ابداً فضحك **جميل** وقال

والله ما قلته الا اختيارًا ولو اجبتِ اليه لضربتكِ بسيفي هذا

ان استطعت والا هجرتكِ

فقال الاب للاخ

لا ينبغي لنا ايذاء من هذه حالاته ولا منع التزاور وانصرفا

فتجدين الان انني في ما حدث كنت اولاً مدفوعاً بحيلة خادمتيكِ ثانياً انني ادركت بما حصل وما نتج عنه من كدرك العظيم مقدار ادبكِ فصرت اشد اكراماً لكِ وتقديراً لمقامكِ · والان دعينا ندفن هذه الحادثة واقبلي اسفي واعتذاري

اما **اليصابات** فاصرّت على عدم الرضى واظهرت جفاءً كثيراً وصرفته بطريقة لم تسره فقالت

— اودعك الان وادعو لك بالتوفيق

— متى اعود لاراكِ

— لا يجب ان تعود فانني غير محتاجة هذه الايام الى شيءٍ ومتى اردتُ بضاعة دعوتك

فخرج الشاب يتعثر باذيال الفشل والكدر

—✲❋✲—

## ❊ الفصل الثامن ❊

**رجع ما انقطع · عرف الحبيب مقامه · تعذيب الحب عذب**

اقام **اسبيريون** ينتظر ورود افادة من اليصابات او اشارة منها ولو بدعوى الحاجة الى شيء من بضائعه فلم يرد منها علم · ولما كانت قد صرفته آخر مرة وهي غاضبة خشي ان لا يكون قد زال تاثير ذلك الحادث من خاطرها وحدثته نفسه باقتحام المنزل والزيارة بدون استئذان ولكنه خاف ان يزيد الطين بلة · فتصوّر كم كانت حالته مزعجة · كم كان يضطرب في تلك الايام والاسابيع والشهور التي اضطر فيها الى ترك الزيارة وهو يعلم الان انها تهواه وتميل اليه

وانتظر صابرًا نصف سنة لا يراها ولا يعلم من امرها شيئًا حتى عيل صبره وفرغت جعبة انتظاره فحمل ما خف من بضائعه في جزدان صغير وسار الى الاكمة فمشى متردّدًا حتى وصل الى الطريق المحيطة بالمنزل وصار يمشي ذهابًا وايابًا فهو تارة يملأه الحب شجاعة على الدخول وطورًا يتهيب · واخيرًا غلب الحب على الخشية فدخل المنزل · ولما علمت بقدومه وافته مسلمة باسمة قائلة

— اراك صبرت على زيارتنا مدة طويلة

— انما اردت ان ابرهن لكِ طاعتي لارادتكِ فقد قلتِ لي

آخر مرة انكِ تكتبين اليّ فانتظرت حتى عيل صبري ولما لم يات منكِ جواب تبعت المثل فاتيت الجبل

— ما امهرك في الاعتذار. اما انا فان اشغالي كانت كثيرة وقد خطر لي ان طول غيابك دليل على عدولك عن رأيك الماضي

— بل هو دليل على تمسكي به وانني لم اطق الصبر طويلاً فاتيت اتقاضاكِ انجاز الوعد

ثم جلسا برهة واصلحا ما كان قد افسده الغياب وجددا عهود المودة السرّية واذنت له ان يزورها قائلة

— لك ان تزورني مرة واحدة في الشهر

فقال ضاحكاً

— واذا حضرت بضاعة جديدة في غضون الشهر الا تريدين مشاهدتها

— اريد ذلك ولكن لا يمكن ان تحضر البضائع من بلاد بعيدة كسوريا في اقل من شهر

— بل ذلك ميسورٌ اذا كان لها مثل قلة صبري على بعادكِ وشدة شوقي الى رؤيتكِ

فتبسمت وقالت

— هذه مبالغات الشعراء

— نعم وكل عاشق شاعر

وهكذا عادت المياه بين العاشقين الى مجاريها لكن **اليصابات** كانت تجد لذة في قلق محبها شأن الفتاة التي تريد التثبت من محبة الرجل وهي تحسب ان العذاب عذب لكن الشاب كان يقاسي اشد العناء

وكأنها ارادت ذات يوم ان تمتحن مودته علماً منها بالمصاعب التي تعترضه من جهة عائلتها فلما زارها وبدأ محادثته بلهجة المحب ردته رداً لطيفاً وقالت

— الا ترى ان الاوفق عدم التوغل في هذا الموضوع فربما انتهى بنا الى فراق

— كيف يكون ذلك ونحن على اتفاق

— انني غير ميالة كثيراً الى الارتباط بالزواج الان وظروفي العائلية تحول دونه . ولا انكر انني اميل اليك ولكن لا اريد ان اقف في سبيل سعادتك فلا تنتظرني لان انتظارك يكون طويلاً جداً . واخوتي وحدهم ليس لهم من يعتني بهم سواي . وليس لي طاقة على تركهم بعد وفاة والدتي فسأبقى عازبة الى ان يتزوجوا جميعاً وربما طال ذلك ١٠ سنوات وحرام ان اقيدك كل هذه المدة

— ماذا يهمكِ من كل هذا ( اذا كان القاضي راضي ) فانا راضٍ بالانتظار ولو طال الامر كل تلك الاعوام فهل تعدين بالبقاء على العهود

— اريد ان اعدك ولكن لا اريد ان اكون حجر عثرة في

سبيل سعادتك

— لكنكِ لستِ كذلك فان سعادتي كائنة في الامل وانا راضٍ ان اعيش عليه

وبعد محادثة طويلة لم يقر فيها قرار انصرف مضطرباً وكان يغيب شهراً فيزورها الى ان زارها وجاءها بهدية فرحبت به وقبلتها شاكرة فعاش الامل في صدره ولكن في اليوم الثالث قابله شقيقها **جامس** في الشارع فقال له

— كلفتني **اليصابات** ان ادفع لك ٣٠ ريالاً

— ولماذا وهي غير مديونة لي بالمبلغ

— هي تقول انها في الحساب الاخير غلطت معك بالقيمة المذكورة

فادرك **اسبيريدون** ان لا غلط في الحساب ولكنها ارادت ان تدفع له قيمة الهدية فتكدر ورفض

وبعد مضي شهرين زارها لاوّل مرة بدون بضاعة زيارة غير تجارية · واذ ذاك اتفقا على ان يزورها في يوم معين من الاسبوع التالي الساعة الواحدة وذلك عند غياب اخيها ولما كان الموعد المعين وصل **اسبيريدون** الى المنزل فرأى الخادمة **دينا** وهي فتاة المانية فقال

— قولي للانسة **اليصابات** انني اريد مقابلتها

فتوقفت دينا برهة توقف المتردد ثم قالت بانكليزية مكسرة

— قالت لي سيدتي ان اقول لك انها غائبة · فضحك الشاب لسذاجة الخادمة وقال

— متى قالت لكِ ذلك

— منذ برهة قليلة

— واين هي الان

— في غرفتها

قالت الخادمة ذلك وضحكت وضحك الشاب وكانت اليصابات مشرفة من غرفتها تصغي لحديثهما وتضحك · ثم هرولت الى مقابلته معلنة انها اوصت الخادمة بذلك هزلاً وانها تود ان تراه



## ✵ الفصل التاسع ✵

### عقد الخطابة سرًّا

مضى **اسبيريدون** في سبيله مسرورًا واخذ يمارس اشغاله باجتهاد حتى اذا كان خارج **بتسبرغ** جاءه التحرير الاتي

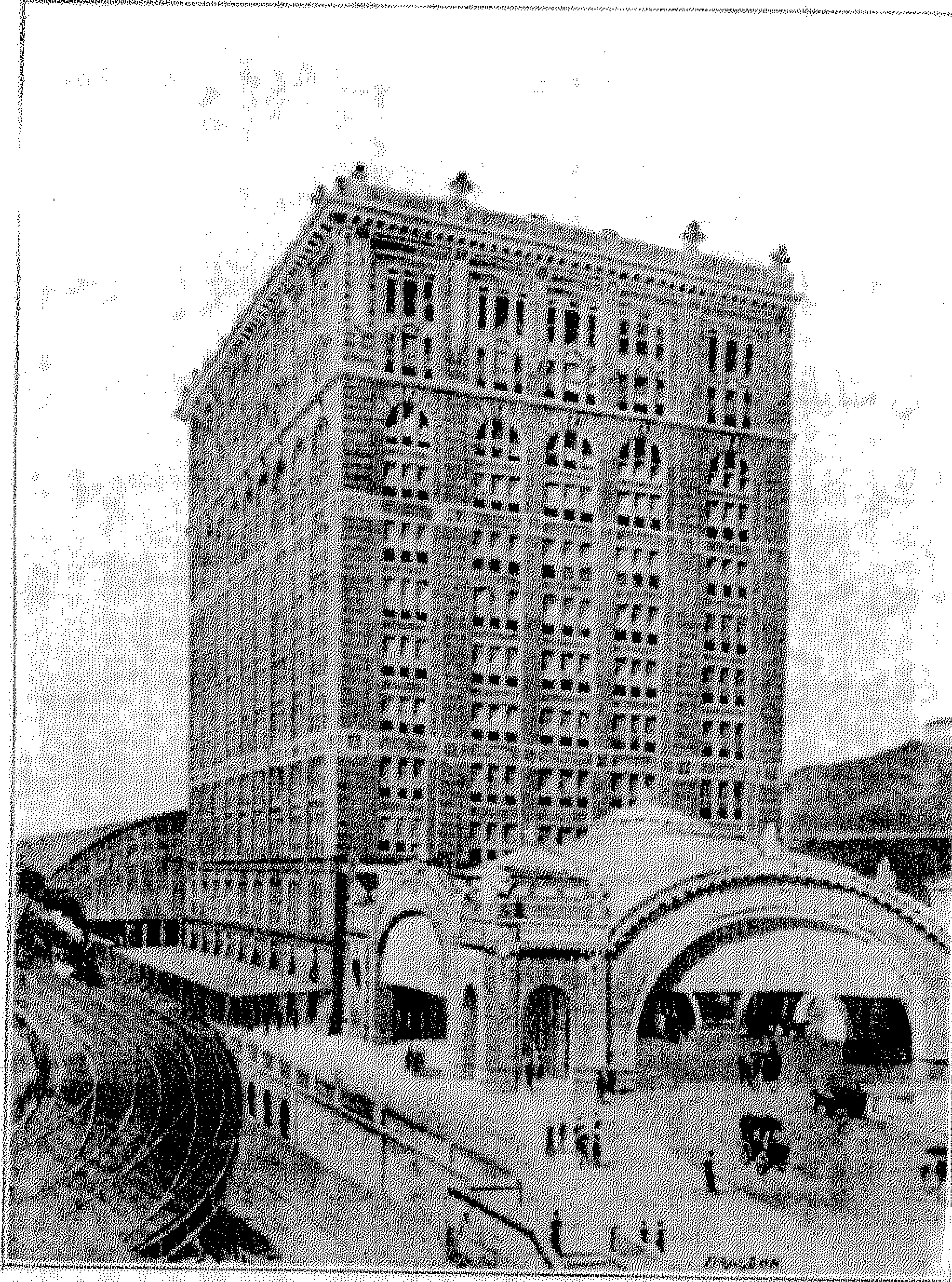
**بتسبرغ في ٦ حزيران سنة ١٨٩٦**

صديقي العزيز الخواجا **اسبيريدون جحا**

يهمك ان تعلم ما آلت اليه حالة **حنة** بعد مرضها فهي الان قد توجهت الى الصحة والمرجو ان تشفى تمامًا · وقد علمتُ من تحريرك الاخير انك تنوي المجيء الى المدينة في الاسبوع القادم فاخشى ان لا تراني اذ ان في نيتي الرحيل الى الجنوب في العاشر من الجاري مع اخي **جامس** واصدقائنا عائلة **ستيل** ولعلك لا تراني فيما بعدُ على الاطلاق فادعو لك بالسعادة الدائمة           اختك الامينة

**اليزا فيلبس**

ولا تسل عن كدره لما قرأ هذا الكتاب خصوصًا لانها ذاهبة مع عائلة **ستيل** وهو يعلم ان اخوتها يريدون تزويجها من احد شبان تلك العائلة · فعلم انها اذا مضت معهم قبل ان يراها ويستوثق منها ربما خسرها ولذلك اسرع الى المدينة وسار راسًا الى بيت الخادمة



12

المحطة الحديدية في مدينة بتسبورغ

**حنة** المجاور لمنزل **فيلبس** وهناك قابل **اليصابات** قبل سفرها بساعات معدودة لجددا عهود مودتهما وسألها ان لا تطيل غيابها اكثر من اسبوعين ليتم في نهايتها عقد الخطبة اذ حان اوانها ولا يوافق ان تدوم علاقاتهما هذه بدون تأكيد صلاتهما الودية برابط الخطبة القوي

بعد ٣ اسابيع جاءه منها تحرير يفيده انها عادت من رحلتها فاسرع الى مقابلتها واتفقا على عقد الخطبة وان يكون عقدها سرًّا حتى لا تثير غضب عائلتها ريثما تتدبر طريقة لاسترضاء اخوتها . وبعد تأمل طويل قررا ان يعقدا الخطبة بوجود الخادمة **حنة** وان يكون ذلك خارج المدينة في بقعة من الارض خاصة بها ومن املاكها الخاصة فاختارت **اليصابات** مكانًا فسيحًا كثير الغابات والاشجار في **لوستهام** وهي بقعة من الارض خاصة بها وحدها اذ ارادت ان لا تعقد خطبتها في ارض مشتركة بينها وبين اخوتها

فلما كان اليوم الثاني وصل **اسبيريدون** الى محطة سكة الحديد وهناك وافته **اليصابات** ومعها **حنة** فوصلا الى المكان المقصود ظهرًا ومشوا في الارض مسافة بين الاشجار والازهار حتى وصلوا الى وادٍ جرت فيه ساقية غزيرة المياه يتعذر اجتيازها لعدم وجود جسر فوضع **اسبيريدون** بعض الحجارة الكبيرة في عرض النهر الصغير وساعد **حنة** حتى عبرت ثم عاد ليساعد **اليصابات** وفيما هي تعبر على الحجارة

زلت قدم **اسبيريدون** فلم يقع ولكن غمرت المياه رجله وبللت ثوبه لكنه تمكن من نقل **اليصابات** سالمة . اما هي فانها استاءت لهذا الحادث وتشاءمت منه حاسبة ان عملها لا يكون مقروناً بالتوفيق .
فازال الشاب ظنونها ثم ساروا من هناك حتي وصلوا الى ارفع قمة وهي حافلة بالاشجار الكبيرة التي كانت تلقي ظلها على مسافة من الارض وقد احضروا معهم طعاماً فاكلوا ضاحكين فرحين واحضر **اسبيريدون** قهوة من منازل المزارعين المجاورة حتى اذا انتهوا من ذلك عقدوا الخطبة في تلك البقعة الجميلة على الكيفية الاتية

ركع **اسبيريدون** في ظل شجرة وامامه ركعت **اليصابات** ووقفت **حنة** بجانبهما ورفع **اسبيريدون** نظره الى السماء ماسكاً يدها وتلى الصلاة الربانية ثم سأل **الله** ان يجعل التوفيق نصيبهما وان يبارك هذا الاتفاق ويجعله مقدمة اتفاق ابدي مبارك

وكانت **اليصابات** تؤمّن على كل كلمة من كلماته فلما فرغ سألت **الله** ان يشملها بالبركة وينعم عليهما بدوام الوفاق

ثم ان **حنة** وهي واقفة بجانبهما صلت لله بلغتها الالمانية وقالت انها شهدت هذا الوفاق داعية لها بالسعادة والهناء

واذ ذاك وضع **اسبيريدون** خاتم الخطبة في اصبع **اليصابات** وهي وضعت الخاتم الاخر في اصبعه وهكذا كان عقد خطبتهما

* * * * * * * * * * *

وصلا الى المحطة في بتسبرغ فوجدا الخادم ينتظر مع العربة فركبا وسار اسبيريدون مع خطيبته حتى جانب المنزل ثم تركها فسارت وحدها

ولما كان المساء واجتمع اخوتها رأوا الخاتم في اصبعها فدهشوا وسألوا عن امره فانتبهت وقالت

— هو خاتم صديقة لي اخذته منها هزلاً ولم يزل في يدي

ولما لم يكن في علمهم شيء مما بينها وبين اسبيريدون انطلت عليهم الحيلة ولم يبالوا بالامر كثيراً

وظل اسبيريدون يتردّد عليها في منزل حنة لكنه خشي ان ينكشف سرهما فارتأى ان يساعدا حنة على الزواج فيسهل لهما الاجتماع بدون حذر . وابلغوا حنة ما خطر لهما فرضيت وما لبثت ان عثرت على رجل فتزوجته واقاما في منزل قريب من منزل عائلة فيلبس وهناك كان اجتماع العاشقين كثيراً

## ﴿ الفصل العاشر ﴾

### اعلان الامر لاخيها · بداية العذاب والاضطهاد

كان قد تمّ الاتفاق بين **اسبيريدون واليصابات** على الصبر نصف سنة يكتمان في غضونها امر خطبتهما ثم يعقد لها عقد الزواج فلما مضى الاجل المعين سألها **اسبيريدون** الانجاز وان تسمح له بطلب يدها من اخيها **جامس** فاجابته

— لك الان ان تسأله ولكنني اخشى كثيرًا ان لا يقابلك بالحسنى

— ولو فرضنا انه رفضني وعارض زواجنا فماذا تفعلين

— اذن تسمح لي بوقت لاسترضائه

— وكم يكون ذلك الوقت

— الى جمعة واحدة و بالاكثر الى شهر واحد

— واذا مضى الاسبوع وتلاه الشهر فبقي مصرًّا على الرفض ماذا تفعلين

— اذ ذاك اكون طائعة لارادتك فلا ابالي برضاه واذهب معك الى اي مكان في اي زمان

فشكر لها كثيرًا صدق ودادها وعظيم ثقتها وانصرف واعدًا ان

يوافيها في منزل حنة بعد ان يقابل **جامس** ليطلعها على ما يكون

وقصد مقابلة **جامس** مرارًا في مراكزه المألوفة فلم يتوفق الى وجوده واخيرًا انتظره ريثما مشى في شارع كراند فتبادلا التحية واظهر له **جامس** كل محبة ووداد كما هي عادته المألوفة . وكان **جامس** يحب **اسبيريدون** ويميل اليه حقيقة . وسارا سوية في الطريق يتحادثان وجرى لهما حديث عام فقال **اسبيريدون**

— انت يامستر **فيلبس** صديق لي على ما ظهر حتى الان

— نعم واريدك ان لا تشك في صداقتي

— هل تريد ان تزيدني تمسكاً باعتقاد صداقتك فتقضي لي امرًا يهمني كثيرًا

— بكل سرور افعل مهما تشاء وتجدني مستعدًا لخدمتك ومساعدتك بكل ما يلزم فلا تخجل من التصريح بحاجتك انهامقضية اذا كان قضاؤها في امكاني

= نعم ان الامر كله بين يديك ومتعلق عليك

= قل ما تريد

**ارجوك ان تساعدني للاقتران من شقيقتك الانسة فيلبس**

وكاناقد وصلا عند هذا الحديث الى رصيف الشارع الواقع تجاه دار المحكمة حيث الالوف من الناس ومئات من المحامين ورجال البوليس فما لفظ **اسبيريدون** تلك الكلمات الاخيرة حتى انقلبت

سحنة **جامس** وتغيرت اطواره واصفرّ وجهه حنقاً وارتجف غيظاً وهو كما ترى صورته كبير الجثة قوي العضلات فما اتم **اسبيريدون** سؤاله حتى تحوّل اليه **جامس** على قارعة الطريق وامسكه باليد الواحدة من عنقه وباليد الاخرى حاول اخراج مسدس وصاح بالشاب السوري

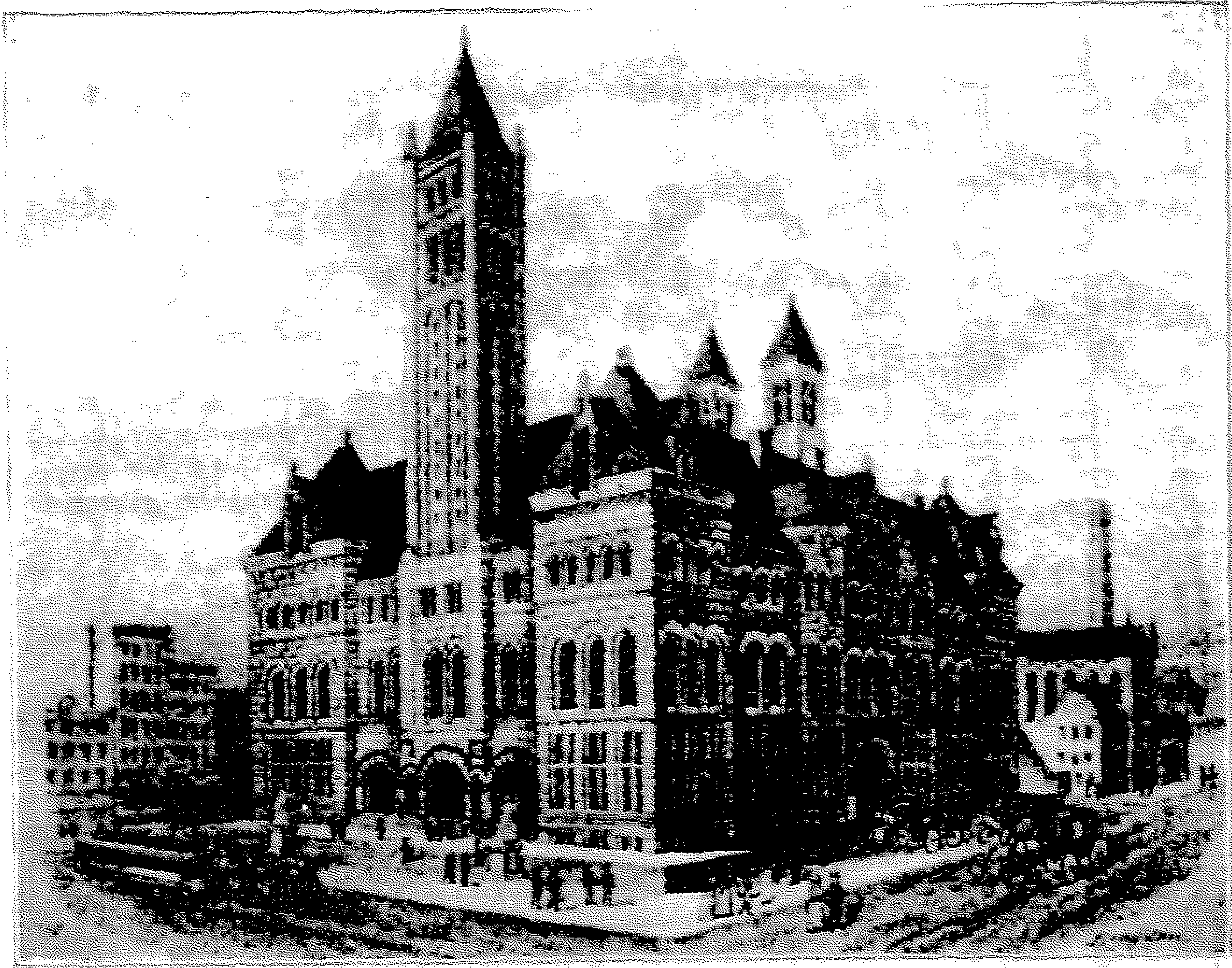
= ويحك ياشقي ياتركي قد احببتك اعظم حب وانزلتك اعظم منزلة ورفقت بك فاذا بك الان تريد ان تسلبني اختي

واخذ **جامس** يزعق ويصيح ويواصل الشتائم واللعنات بلغة قبيحة منكرة حتى اجتمع الناس حولهما من كل جانب وكان الرجل كما ذكرنا من امر عائلته ومقامها العظيم معروفاً في المدينة فادهش الناس سلوكه اما **اسبيريدون** فلما رأى ما جرى مما لم يكن في حسبانه تخلص من يد **جامس** بالتي هي احسن وقال

= اذن انتهى الامر بيننا وقد كان في وسعي رد الاهانة اليك لولا ما يمنعني من احترام شخص احترمه اكثر منك . ولو كنت انا **جامس فيلبس** لخجلت من هذا التصرف

وانصرف من بين الجماهير تاركاً **جامس** في جمهور من الناس يغضب ويسب وذهب راساً الى محل التمرين على اطلاق البنادق . ولم يكن قد جرّب اطلاق واحدة في حياته فقال في نفسه

= ساجرّب ان اصيب الغرض فاذا اصبته كان لي مستقبل



13 دار الحكومة في بتسبورغ

حسن فلا اخشى شرًّا واذا لم اصب علمتُ انني سافشل في سعيي

ولما جرّب اصاب الغرض اولاً وثانيًا ولم يصب ثالثًا فعلّل النفس بالنجاح ولكن بين صعوبات كثيرة

ولما كان المساء ذهب الى منزل **حنة** فوجد **اليصابات** تنتظره على مقالي الجمر وهي تبكي حذرًا من نتيجة ما يكون فاخبرها بما جرى وما كان من اخيها فقالت

= قد كان قلبي دليلي فلم يهدأ لي بال

= والان ما رأيكِ وماذا تفعلين بعد ان علمتِ راي اخيكِ

= لا ادري الان ماذا افعل وانما اعلم أنني ساجرّب استرضاء اخوتي بما في وسعي من الوسائل الودية

= وهل تعدين ان تقيمي على عهودكِ مهما كانت النتيجة

= اعدك بكل ذلك

= ولا اكتم عنكِ يا **اليصابات** انني مضصر الان الى استئناف اشغالي وملازمة اعمالي فعليكِ ان تجنمي الان حتماً نهائيًا في اي طريق تسيرين. تأملي ما دام وقت حتى اذا وجدتِ انني موافق لكِ وتأكدتِ انني امين في مودتي وانني احبكِ حبًا صحيحًا عديني بالثبات معي واذ ذاك لا ابالي بتهديد اخوتكِ واقابلهم بشجاعة واقاومهم

= وهل ترضى ان اتركك

= كلاَّ بل اريد ان اكون على يقين لاعلم ماذا افعل • واريد قبل كل شيء ان اضمن لكِ راحتكِ • فاذا علمتِ انكِ ستلاقين من اخوتكِ عذابًا ومعاملة سيئة وانكِ لا تقوين على الاحتمال فاستعملي حكمتكِ واتبعي ارشادات قلبكِ • ولم اخف عنكِ في كل اجتماعاتنا ومنذ عرفتكِ كما لا اخفي عنكِ الان انكِ اذا بقيت على ولائي واخترتني دون اخوتكِ فانما تختارين رجلاً فقيرًا لم يتظاهر بالثروة ولا يعدكِ الا بالمحبة الثابتة ثم تاملي ايتها العزيزة **المصابات** فيما انتِ مزمعة ان تفعلي • انتِ ذات ثروة ومال كثير وقد عشتِ حتى الان غارقة في بحار النعمة والراحة ولديكِ الخدم والاعوان مقيمة بين خاصة قومكِ واشرف عائلات المدينة فاذا اصرَّ اخوتكِ على رفضهم ربما حرموكِ من ثروتكِ واذ ذاك لا تجدين مع محبكِ هذا الا المعيشة الصعبة والعناء • فبعد ان عرفتِ كل هذا هل انتِ متأكدة انكِ تفضلين هذا المحب

= نعم بكل رضى مهما آل اليه الحال ومع ذلك فانني ساجرب واسعى حتى اقنع اخوتي بالرضى فيأتون اليك من تلقاء انفسهم اليَّ ويرحبون بك

= واذا تعذر الامر عليكِ

= عند ذلك اضع ذاتي بين يديك وافعل ما توحي اليَّ به ولو عاندتني كل المصاعب وكل العائلة

## ﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

### جامس واليصابات وجهاً لوجه

تركنا جامس فيلبس على الشارع محاطاً بالجماهير وهو يرغي ويزبد ويتوعد وينذر ثم انتبه الى ذاته ورأى ان الامر يحتاج الى تدبر واهتمام وتذكر اذ ذاك ان اسبيريدون كان يكثر التردداد الى المنزل فعلم ان غايته لم تكن تجارية فقط . وذكر انه راى خاتم خطبة في يد اخته وانها احتالت في جوابها عنه . فادرك ان المودة بين العاشقين قد تمكنت قبل ان يدري بها . ثم ذكر ثروة اخته العظيمة وانها اذا نالت مرادها وزُفت الى الشاب السوري يحرم من الانتفاع بالمال لانه كان وكيلاً على اعمالها فازداد غيظاً

ولما كان المساء وصل الى المنزل وقد عاقر الخمرة في طريقه لشدة غيظه فازداد حدة ولما دخل المنزل وراى اليصابات صاح بها صيحة ارعبتها وقال

يا لكِ من شقية . انكِ احتلتِ علينا ولم تبالِ بشرفكِ وشرف عائلتكِ فسلمتِ قيادكِ لشاب جاهل تركي احمق . الا تعلمين ان هؤلاء الاتراك يتزوجون العشرات من النساء فكيف يكون حالكِ . وبعد فان امركِ ليس بيدكِ ونحن اخوتكِ لا نسمح لكِ بهذا التصرف السيء فالان عليكِ ان تتركي هذا الرجل وان تمتنعي عن مقابلته

ومكاتبته او يكون لي ولك شان

= يظهر يا اخي انك اخذت من الخمرة ما يزيد على احتمالك فانا لا الومك ولا احفل بكلامك

= بل يجب ان تهتمي قبل الندم فوالله لا ينالك هذا الشاب وواحد منا حيّ . الا تعلمين انه راغب في مالك لا في ذاتك . هل انت حمقاء الى هذا الحد حتى تجهلين انه لا يهواك ولا يوافقك

= بل عرفته منذ ٨ سنوات فلم اجد منه الا كل شهامة وكرم اخلاق وحسن تصرّف وكان حتى اليوم صديقك العزيز

= لم اكن اعلم انه يستعمل صداقتي في سبيل الحيلة ومهما يكن من امره فلا يفوز بكِ واذا لزم الامر اقتلكما قبل يوم الزواج

* * * * * * * * * *

ثم ان جامس انتبه الى عدم الحكمة في هذا التصرف فعمد الى الرقة واللين واخذ يخاطبها بلطف مظهراً مودته واعتماده على حبها والعناية باخوتها وانها مضطرة الى حفظ شرف العائلة الى ان قال

= ومع ذلك فانتِ لا تعلمين من امره شيئاً ولا من امر عائلته

= الناس لا يتزوجون العائلات بل الرجل وهو اهل لمثلي ولست افضل منه

= لا باس فالاوفق ان تنتظري ريثما نسأل عنه ونستقصي منزلته وعائلته فهل تعدين بالانتظار

— افعل ما تريد

— واذا ظهر لكِ ان عائلته غير حسنة وعلاقاته غير موافقة هل تتركينه

— انا واثقة انه حسن وموافق فلا يهمني امر عائلته ولا اتركه

وانتهى الحديث بغضب عظيم وافترقا والكدر مستولٍ عليهما

ولما كان اليوم الثاني ذهب جامس الى مدير البوليس السري (الخفية) وساله مساعدة بعض انفاره في مراقبة اسبيريدون واخته ومنع التزاور والمكاتبة . اما المدير فاجاب

— انت تعلم يامستر فيلبس ان هذه المسألة عائلية خاصة لا علاقة لها بالحكومة والشعب فلا حق لدائرة البوليس ان تتداخل فيها ولذلك ارفض طلبك

ولا يخفى وجود دوائر خصوصية حائزة على رخصة من الحكومة للخدمة السرية مثل دائرة بنكرتون وسواها التي ترسل افرادها بصفة بوليس سري للعائلات والحوادث الخصوصية فعمد جامس الى دائرة معروفة في بتسبرغ باسم دائرة مونسبي واستخدم خمسة انفار لمراقبة اسبيريدون ومعرفة محل وجوده والاماكن التي يتردد عليها فتفرقوا في جهات مختلفة يراقبون الرجل تارة في هومسدال وتارة في حي السوريين ويجثوا عنه وعن عائلته وعلاقاته حتى لم تخفَ عليهم خافية

## ﴿ الفصل الثاني عشر ﴾

### الاحتيال للمقابلات · الخفية · اجتماع سرّي · اسبيريدون في خطر

علم اسبيريدون بعد مقابلة جامس ان قد امتنع عليه زيارة خطيبته في منزلها وانه مضطر بعد الان الى الحذر فعمد الى طرق العشاق من الاحتيال على المقابلات والعلم باحوال احدهما الآخر فاستأجر غرفة في هومسدال مشرفة على منزلها وكتب اليها مع مخصوص انه سيقيم تجاه بيتها ليراها واشترى نظارة مكبرة وبندقية وبدلة صيد كان يستعملها للتجوُّل في الغابات المجاورة فلا ينكر الناس امره في كل اوان

ثم كتب اليها مع زوج حنة فوافته الى منزل الخادمة واتفقا على علامات خصوصية يفهمان منها بعض الامور الهامة كجعل اطلاق بندقيته مرة واحدة دلالة على وجوده هناك ومرتان دلالة على السلام والتحية الخ وانه ينير الشموع من غرفته كل ليلة فكلما اختلف عدد الانوار اختلفت المعاني المتفق عليها

على ان المكاتبة بينهما لم تنقطع بوسائط سرّية مختلفة وكانت تخابره بواسطة زوج حنة



14 اسبيريدون بملابس الصيد

وكتبت اليه ذات يوم ما يدل على صحة حبها قالت ما تعريبه

« ان اولاد امي قد غضبوا ولكن ابنتها لا تغضب وقد اضطروك الى تمضية لياليك وايامك في الغابات كانك حارسها وجعلوني ناسكة في هذا المكان المقفر . ولكن الاتحاد بين قلبينا يزداد حتى لا سبيل الى التفريق بينهما مهما عظمت المصاعب . قد رأيت ليل امس والذي قبله والليلة ايضاً نور مصباحك الذي يلقي اشعته عن بعد على فؤادي فما ابعد المسافة التي يصل اليها نور ذلك المصباح الصغير . وكذلك اشعة العمل الصالح في عالم شرير »

وحدث مساء ذات يوم لما اشتد تضييق البوليس السري عليهما انه اراد مشاهدتها والاجتماع بها في منزل الخادمة فاتى المنزل ليلاً في عربة نقل يسوقها زوج حنة والظاهر ان حنة كانت تلعب دوراً مزدوجاً فهي تتظاهر بمساعدة العاشقين ثم تفشي اخبارهما الى جامس وكانها اتفقت مع جامس هذه الليله على السعي في احضار اسبيريدون الى منزلها ليوقع به فلما وصل اسبيريدون الى المنزل لم تكن اليصابات قد حضرت فانتظرها على مقالي الجمر حتى جاءت فاخبرته بما فعله اخوتها معها من الحدة والظلم وانهم حاولوا مراراً حملها على اخذ شراب فلم تفعل وهي تخشى انهم اضمروا لها الشر والاذى وان السم في ذلك الدسم . فانهم ارادوا من ذلك المشروب ان يؤثروا على عقلها ليتخلصوا منها وليتمكنوا باعلان جنونها من القول انها غير صالحة لادارة

مصالحها فيستولوا على املاكها ومالها ويحجزوا حريتها

وفيما هم جلوس يتحدثون اذا بالكلاب قد اخذت تنبح خارجاً كانها تنذر بقدوم طارق فاجفلت **حنة** وكأن الخوف استولى عليها فصارت تبكي فقالت **اليصابات**

— ما بالك تبكين

— اخشى حصول شرّ واذى لكما وبالاخص **لاسبيريدون**

— ومن الذي يحاول ان يؤذينا بل من يعلم باجتماعنا

— ان المستر **جامس** عالم **بكل شيء** ولست ادري من اعلمه بوشك اجتماعكما واخشى انه هو القادم الان مع رجال الخفية

فلا تسل عن خوف **اليصابات** ودهشة **اسبيريدون** لما لم يكن في الحسبان من اقتحام العدو محل اجتماعهما

واذ ذاك اسرعتا فادخلتا الشاب الى شبه خزانة في الغرفة ومعه بندقيته حتى اذا دخل الرجال لا يبصرونه . واسرعت **اليصابات** في الانصراف وتأخرت **حنة** عنها فعادت الى حيث كان **اسبيريدون** واخذت بندقيته قائلة

— لا يلزم تركها معك خوفاً من الاذى

ولكن **اليصابات** سمعتها فعادت غاضبة واخذت البندقية منها وارجعتها الى خطيبها قائلة

— انا اكره ان يصاب اخوتي باذى ولكن اذا اضطرك الامر

دافع عن نفسك فذلك حق صريح لك

وخرجت مع **حنة** حتى اذا صارت خارج المنزل رأت **جامس** والرجال فانتهرها شقيقها قائلاً

— ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت من الليل

— ذلك من شأني ولا شان لك فيه وانا عائدة الى المنزل

— حسناً تفعلين

— وحسناً تفعل ان تاتي معي

— لي شغل شاغل هنا

— بل واجباتك الاولى ان تعتني بي فارجع معي

— اريد مقابلة شخص هنا

— لا يوجد احد هنا الان وليست المقابلة اهم من عنايتك باختك

وكان **جامس** يريد استرضاءها فظن انه يستفيد من العمل بارادتها وهكذا سار معها الى المنزل · اما **اليصابات** فانها اوعزت الى رفاقه بالانصراف وسارت **حنة** معها الى المنزل وبعد ربع ساعة عادت الى **اسبيريدون** وكان لا يزال مقيماً في الغرفة لا يعلم ما يكون ولا كيف يتيسر له الخلاص فقالت حنة

— قد ذهبوا ولولا حكمة **اليصابات** واصرارها لدخل **جامس** ورجاله ورأوك وقتلوك

فشكر الله واثنى على حكمة عروسه وودع وانصرف وكان الليل

شديد الحلاك والطريق وعرة في تلال وغابات ومنحدرات كثيرة الاعشاب فمشى قاصدًا غرفته حتى اذا كان في ظاهر الاكمة زلت قدمه فنتج صوت كان له دوي في ذاك الهدو الشامل واذا بصوت ينادي

— من هذا

وكان المتكلم احد رجال الخفية الذين وضعهم جامس حول المنزل لمراقبة اسبيريدون وادرك الشاب الخطر المحدق به ولكن لحسن حظه كان الرجل نائمًا قبل حدوث الحركة وهو بين مستيقظ ونائم وكان اسبيريدون يعلم ان الخفية هذا رفيق للرجل الآخر المسمى جاك فعمد اسبيريدون الى الحيلة وقال بصوت جهوري مقلدًا صوت جاك

— لا احد سواي . كل شيء هادىء . فلم ينتبه البوليس كثيرًا وعاد راحته واستأنف اسبيريدون السير حتى وصل الى غرفته سالمًا

وكان جامس قد احضر عربة مقفلة واوقفها مدة ثلاث ليالٍ في جوار منزل حنة قصد ان يقبض على اسبيريدون ويبعده الى مكان خفي فلم يفلح



## ﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

### الالتجاء الى الحيلة · العرّافة والبخت · مسز هيوز · مسز فانكرك

عجز جامس فيلبس فلم يجد طريقة لامتناع اخته ان تعدل عن ميلها الى الشاب السوري فلجأ الان الى الخرافات وتاثيرها شان الغريق يتعلق بحبال الهواء · وكان في المدينة عرافة مشهورة اسمها (مسز هيوز) تبصر البخت وتقرأ للناس ما تزعم انه حقيقة مستقبلهم وكانت اليصابات لما ضاقت بها الحيل تجاه تعذيب اخوتها قد زارت هذه العرافة لا اعتقاداً بقدرتها على كشف ستار المستقبل بل تعليلاً للنفس بالامال شان اكثر بنات الاميركان فاحسنت المرأة وصف حالها واكثرت من اطراء العاشق · والظاهر ان جامس علم بزيارة اخته فظن ان هذه افضل الوسائط للتاثير على اميالها فزار المراة ودفع لها مالاً واغراها على تقبيح هذا الزواج لاخته وشرح لها ما يجب ان تعرفه حتى تثق بها اليصابات ثم اغرى حنة فحملت سيدتها على زيارة العرافة لترى رايها في حالتها وامر عاشقها فلما وصلت اليصابات اخذت العرافة تحدق في يديها وتقرأ وتعزم شأن هؤلاء العرافات المحتالات ثم قالت

— انكِ يا ابنتي في قلق عظيم وتعب اعظم تحيط بكِ المصائب من كل جانب وعذابكِ هذا ناتج عن ميلكِ الى رجل غريب اجنبي فبرجكِ هو برج المرّيخ وسعدكِ يحترق فيه لكثرة نيران الاكدار العتيدة فامامكِ مخاطر وحياتكِ يتهددها شقاء عظيم اذا تبعتِ هوى نفسكِ فالظاهر لي من مراقبة النجوم والابراج انكِ كنتِ حتى الان سعيدة ولكِ عائلة تحبكِ واخوة يتفانون في الميل اليكِ وانتِ تحبينهم ايضاً حتى صرتِ لهم في منزلة امّ حنون ولكن يظهر الان ان سهم القضاء اعترض سعادتكِ بدخول رجل اجنبي استولى على قلبكِ ونصيحتي اليكِ ان لا تشجعي هذا الاجنبي وان لا تميلي اليه فالنجوم تقول لي انه لا يحبكِ وانكِ اذا خالفتِ نصيحتي وتزوجتِ منه فهو يأخذكِ الى بلاده وبلاده بعيدة وهناك يهملكِ بعد ان ياخذ مالكِ ويتركك وحيدة فقيرة في بلاد اجنبية وانتِ غير قادرة على السعي وراء رزقكِ . ان في يديكِ اعظم شاهد على ذلك خصوصاً في رقتها ونحافتها واستدل من حالتها انكِ لم تعملي عملاً يدوياً كل حياتكِ شأن ذوات النعمة والجاه فكيف يكون حالكِ متى تركك الرجل في بلاد غريبة فاتبعي نصيحتي ان الرجل الاجنبي راغب في مالكِ ولو كنتِ فقيرة ما مال اليكِ وفضلاً عن ذلك فان برجكِ ينذر بتعاسة عظيمة ويلوح لي ان الرجل لا يعيش طويلاً لان اخوتكِ ينوون قتله اذا بقيتِ مصرّة على هواه فالاوفق

لسلامتك ِ وسلامته ان تفترقا

فلما سمعت **اليصابات** اقوال العرافة رأَت انها موافقة تماماً لاراء اخوتها وذكرت اصرار الخادمة في حملها على زيارة هذه المرأَة فقالت في نفسها ما هذه قراءة مستقبل بل هي حيلة من اخي ولا اشك انه زار هذه المرأَة واغراها على ابداء كل هذا لي سعياً وراء اقناعي وارادت ان تتأَكد ذلك فقالت للعرافة

— انك ِ في اقوالك ِ واعمالك ِ تسعين وراء التجارة والارباح المالية وقد زارك ِ بالامس اخي

— كلا لا اذكر اني اعرفه

— انت ِ تعرفينه وقد زارك ِ لانه مثلي تماماً ولا يخفى عليك ِ ذلك وهو قال لي انك ِ قرأْت ِ له بخته

— هل قال لك ِ ذلك

— قال انك ِ قرأْت ِ البخت بذكاء والان قولي لي بصراحة الم يأْت ِ اليك ِ فادفع اجرة مقابل ابلاغك ِ اياي كل هذا

— اذا كان قد افشى سره فلا باس من الاعتراف انه اتاني حقيقة

— اذن انت ِ ساعية وراء المال فانا اسالك ِ افادتي عن الحقيقة ولك ِ عندي اجرتك ِ

— اذا دفعت ِ لي خمسة ريالات فعلت ُ

فدفعت لها **اليصابات** المال فقالت العرافة

— الان اقول لك الصدق · اذا كنتِ تحبين هذا الشاب فاتبعي هواكِ وليكن قلبكِ دليلكِ

وهكذا عملت اليصابات حيلة اخوتها

## الفصل الرابع عشر

### القبض على اسبيريدون · في طريقه الى الحبس · تلاعب في ادارة البريد

ظهر للقاري من الحوادث الماضية ان اخوة **اليصابات** استعانوا بالبوليس السري على منع اجتماعها بخطيبها فلم يفلحوا · وعلى منع المراسلات فخاب سعيهم · وحاولوا تعطيل عقلها باعطائها مشروب معلوم فلم تقع في حبائلهم · وانهم استعملوا كل واسطة ليحملوها على ترك الشاب السوري فكانت النتيجة انها ازدادت تمسكاً به ولذلك عمدوا الى طريقة اخرى هي الوحيدة الباقية لديهم ذلك انهم اعتماداً

على ثروتهم ونفوذهم بالنسبة الى حاجة الفتى وعدم وجوده بين ذويه ارادوا الايقاع به وزجه في السجن للتخلص منه اولاً بمنعه عن مقابلة اختهم ثم ظناً منهم انهم متى سجنوه تنفر منه لما في السجن من السمعة السيئة

اما اسبيريدون فلم يكن عالماً بما اضمروه له ولذلك اتفق مع اليصابات على ان يمضي في اشغاله مدة ريثما ترى طريقة لاقناع اهلها فذهب الى تاجر ارمني واشترى سجاداً ليتاجر به في رحلته وفي اليوم التالي ذهب الى التاجر استعجالاً لشحن البضاعة فقابله شاب هناك وقال له

— ان رجلاً سأل عنك ويريد ان يراك

— وهل تعلم من هو

— كلا وانما حضر مراراً في اليومين الاخيرين والحّ في السؤال عنك والاستعلام عن محل وجودك

— وما هي اشاراته

فذكر الشاب اشارات رجل عرف اسبيريدون منها ان الساعي وراءه هو روبرت شقيق اليصابات فخيره الامر ولم يعلم غرضه من السعي لمقابلته

وصباح اليوم المعين لسفره خرج من غرفته قاصداً الفندق لتناول الطعام فمرّ في طريقه على ادارة البريد وسأل فتاة هناك عن

تحرير باسمه فسلمته تحريرًا عليه عنوان

*Mr. S. J. Jeha,*
**General Delivery.**

ولما قلب الظرف انتبه الى ان قد حصل تلاعب فيه وانه مفتوح فعاد الى الابنة وقال

— هذا التحرير مفتوح فكيف كان ذلك

— ان رجلاً حضر مرارًا في اليومين الاخيرين وكان يسأل عن تحرير بهذا الاسم واليوم حضر فاعطيته هذا التحرير وبعد ان فتحه رده اليّ قائلاً انه ليس له وانه فتحه غلطًا

— وهل تعرفين الرجل

فذكرت الفتاة علاماته وادرك **اسبيريدون** للحال انه **جامس** بالذات وواقع الامر ان **جامس** اراد الاطلاع على ما يدور بين الخطيبين من المراسلات ولكن التحرير الذي فتحه لم يطلعه على شيء لانه كان مكتوبًا باللغة العربية وهو تحرير وارد الى **اسبيريدون** من صديقه ابرهيم **الغرزوزي**

اما **اسبيريدون** فانه عاد الى اللوكاندة في **هومدايل** وفيما هو سائر اذا برجل يناديه فوقف، فاقترب منه الرجل الغريب وقال

— هل انت الخواجا **اسبيريدون جحا**

— نعم انا هو

— اذن سرْ معي

— والى اين

— الى السجن فان معي امرًا للقبض عليك

فاجفل الفتى لهذا الخبر وقال

= وما ذنبي

= لا اقدر ان اخبرك وكل ما اعرفه انني مامور بالقبض عليك

= ارني الامر

فاخرج الرجل ورقة رسمية واطلعه عليها بدون ان يسلمه اياها

= ومن هو المدعي عليّ

= الخواجه جامس فيلبس

ووجد **اسبيريدون** ان الحكمة تقضي بمراعاة الاحوال وعدم المعارضة فقال

= انا بين يديك فافعل واجباتك

عند ذلك اخرج الرجل قيدًا حديديًا ووضع طرفه الواحد حول يد **اسبيريدون** اليمنى وابقى الطرف الاخر من القيد في يده كما هي عادة البوليس فقال **اسبيريدون**

= وهل انا مجرم حتى تستعمل هذا القيد

= هكذا أُمرت ان افعل والا وضعوا القيد في يدي

= لك ما تريد ولكن ستندم كما يندم الذين دفعوك الى هذا العمل

اما البوليس فضحك ومشى في طريق مخالفة فقال **اسبيريدون**

= الى اين من هنا

= الى سجن **بتسبرغ** فلا تعارضني في كيفية اجراء واجباتي

وهكذا سارا الى محطة **بنسلفانيا** وكان ينتظرها هناك **جامس** والخفية واحدهم البوليس **جاك** المشهور بعدائه للشاب وانتمائه الى **جامس** فاقتربا منهم وقال البوليس واسمه **مونسني** **لجامس**

= هل هذا الرجل المراد

= نعم هذا هو التركي الشقي لا بارك الله فيه

فضحك **اسبيريدون** ضحكة الاستخفاف وقال

= ستندم على عملك **ياجامس**

فلم يكن جوابه الا الشتم والاهانة

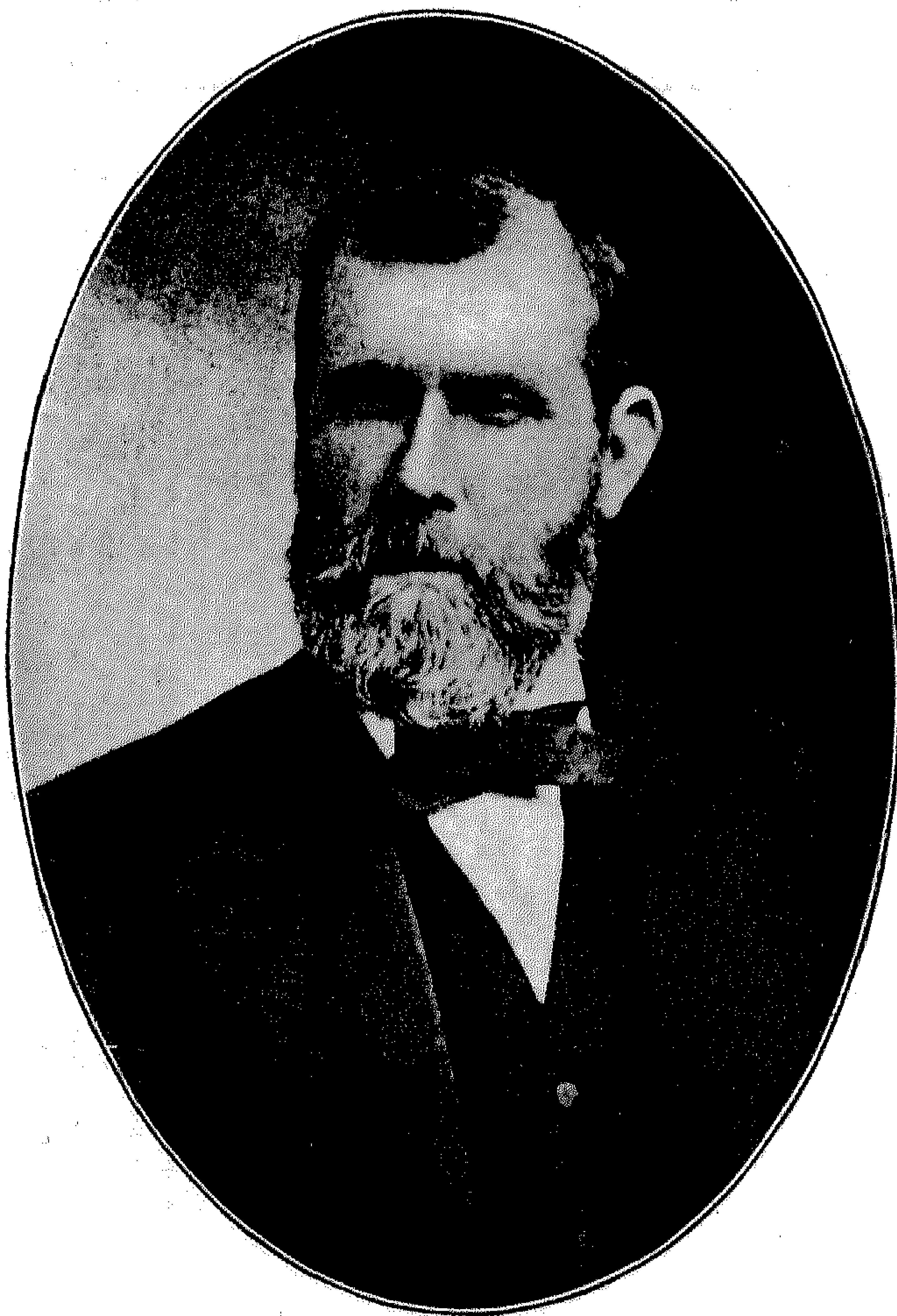
اما **مونسني** فسار بسجينه وركبا العربة العمومية · ورأى الشاب فيها بعض معارفه الاميركان الذين ادهشهم انه مقيد ولم يعلموا السبب وخجل الفتى ان يفاتحهم بحديث وهو في تلك الحالة

وفيما هم على الطريق اخذ **اسبيريدون** يتامل في حالته وماذا يجب ان يفعل وعلم انه اذا وصل الى السجن بقي فيه طويلاً ولا يجد من ينقذه وربما تمكنوا من كتمان امره حتى لا يعلم به احد وتذكر تهديدهم ووعيدهم وكم مرة قالوا له ولاختهم انهم لا يتاخرون عن قتله · ثم قال في نفسه



16

مسز هنري جونز



15 المرحوم هنري جونز

ان هؤلاء الرجال اغنياء واصحاب نفوذ وهم في وطنهم وبين معارفهم . واذا كانوا قد حاولوا اذهاب عقل اختهم فماذا يمنعهم عن محاولة اذهاب عقلي بالعذاب او اخفاء امري الى ان يضيق بي الحال

ولما كانت الشدة تستوجب مزيد الحذر اعمل اسبيريدون الفكرة طويلاً وعلم انه اذا كان من سبيل الى النجاح فهذا وقته بينما هما على الطريق لانه متى تمكنوا من زجه في السجن قبل ان يعلم بامره احد من اصحابه قضي الامر وعجز عن النجاة وادركوا ما يريدون

واذ ذاك ذكر صديقه الاميركي هنري جونز الوارد ذكره في الفصل الاول واراد ان يقابله . ولكن كيف يكون ذلك ؟

—✲❋✲—

## ﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

### في طريقه الى السجن · نجاح الحيلة · هنري جونز وشهامته

بينما كان **اسبيريدون** صامتاً مفتكراً يدبر الحيلة اخذ **مونسي** يلقي عليه الاسئلة قصد ايقاعه في حبائل نصبها له اخوة **اليصابات** فقال

— كم من المال اخذتَ من الانسة **اليصابات فيلبس**

— لم آخذ منها مالاً الا كان حلالاً

— بل اخذت قيمة كبيرة فلا تنكر

— إعلم ياهذا انك خادم الحكومة وليس لك ان تهين الافراد فاعلم ان كنت تجهل انني لستُ نصاباً ولا شحاذاً وانما انا تاجر

— ولكنك لا تنكر انك اخذت منها مالاً

— كلّ ريال اخذته كان قيمة بضائع اشترتها مني

— وما اسمك

— انت عالم باسمي وهو في الورقة التي معك

— ولكن لك اسماء اخرى

— لا اذكر ذلك

— انا اردّدها الى خاطرك فواحد منها « غزالـــ » والاخر

« حبيبي » اليس كذلك

— ان كنت استعمل هذه الالقاب فلمقاصد في الخصوصية وانا حرّ

— وهل انت متزوّج

— كلا

— بلغني انك بعل امرأة ولك منها اولاد في بلادك

— كذب الذي اخبرك

وهنا يليق بنا ان نوضح للقارىء ان **اسبيريدون** كان قد اتفق مع **اليصابات** ان ترسل تحاريرها اليه بعنوان « حبيبي » او « غزال » الى البوسطة فكانت تحمل العنوان هكذا

***Mr. Gazal***

***Homesdale, Pa.***

او ***Mr. Habibi***

وذلك فرارًا من سقوط تحاريرها في ايدي اخوتها الذين راقبوا البريد كما ورد في فصل سابق

ثم اراد **اسبيريدون** الابتداء بالحيلة ليتمكن من مقابلة المستر **هنري جونز** فعمد الى ملاطفة البوليس فقال

— دعنا من هذه المواضيع فهي خطيرة وسيكون لي وللمعتدين عليّ شأن وانا اعلم انك لا تريد ضرري وانما انت مكرَه على العمل بصراحة شأن المامور الامين. ولا اشك انك تدرك مركزي الحرج

ولا يخفى عليك انني تاجر ابيع السجاد وتجارتي بين خاصة العائلات فالان وقد صرتُ في قبضتك ولم يكن لي سابق علم بهذا الحادث اخبرك بامر يهمني كثيرًا ولا يضرّ بك ولا يؤخر اتمام واجباتك

— وما هو

— هل تعرف المستر هنري جونز

— نعم فهو اشهر من نار على علم ولكن ما شانه واياك

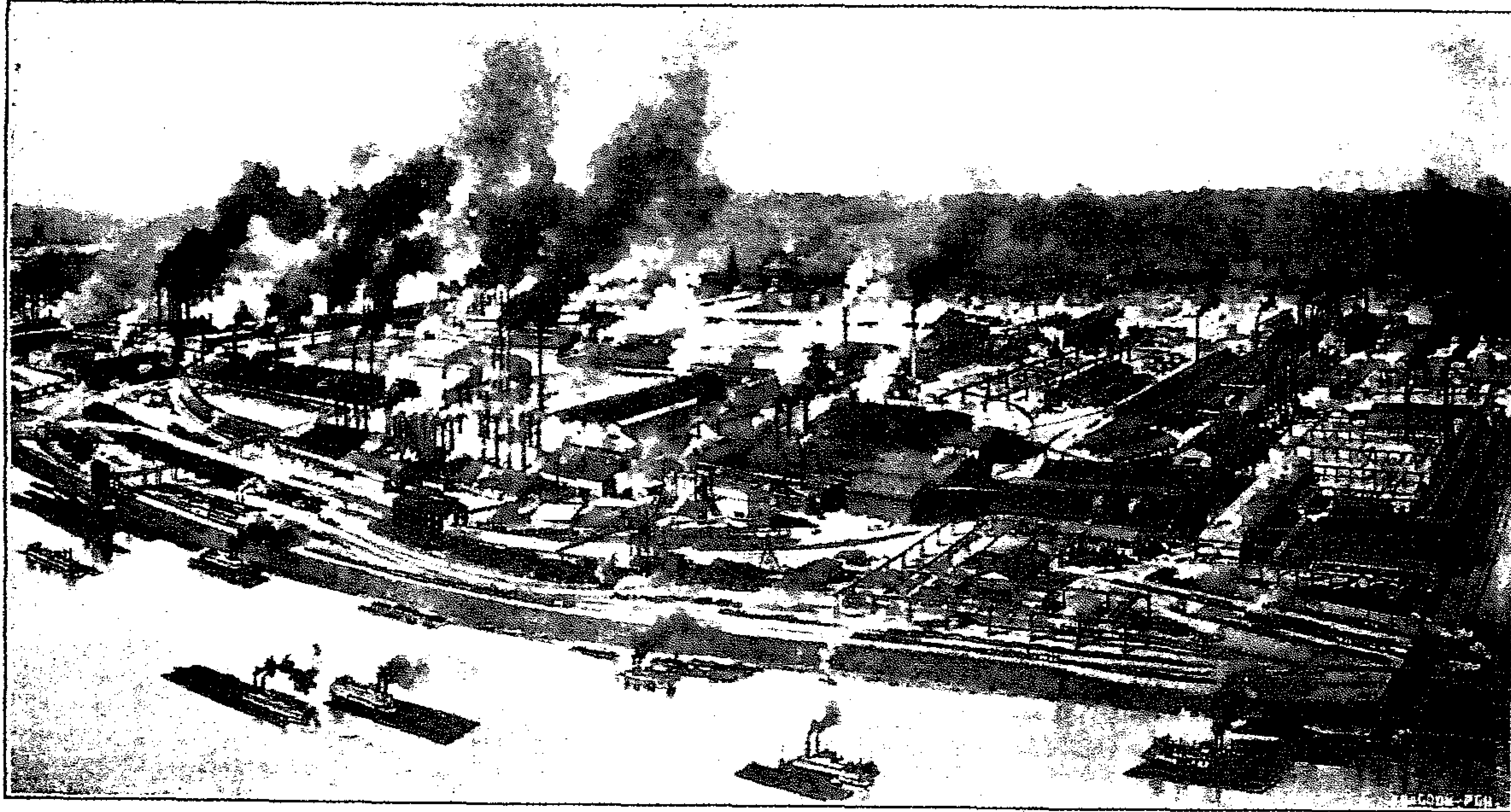
— لا شأن لي معه خاصة ولكن قرينته من اخص زبايني وقد اوصتني على كمية من السجاد التركي والعجمي ووعدتها ان احضر مطلوبها هذا الصباح فاستوثقت مني ان لا اتاخر وانها تقيم في انتظاري

— ثم ماذا

— انت تعلم انني الان عاجز عن زيارتها وانجاز وعدي لها . ولكن ارى من الادب واللياقة ان لا اترك سيدة شهيرة في مقامها العالي منتظرة قدومي بالسجاد على غير جدوى فاريد ان اخبرها انني لا اقدر ان ازورها اليوم

— وكيف ذلك وانا لا اقدر ان اسمح لك بالذهاب الى منزلها وهو بعيد بين منازل الخاصة

— انا لا اطلب ذلك وانما انت تعلم ان ادارة زوجها كائنة على طريقنا فاسمح لي بالنزول هناك لاقابله واساله ان يرسل خبرًا



معمل الحديد خاصة جونز ولاخلن ( الذي كان يترأسه هنري جونز )

لزوجته وهكذا ترتاح ولا تكون انت قد تاخرت عن وظيفتك

= مستحيل ان البي طلبك

= ولماذا وانا لا احاول الفرار · بل انني مستعد لادفع لك اجرة كثيرة قدر ما تشاء لانني اخشى اذا لم اخبرها ان اخسر تجارتي معها

= وماذا يهمني امر تجارتك

= اذن يهمك امر التأدب في معاملة هذه السيدة ويهمك انني ادفع لك اجرة كافية مقابل هذا الفضل

فافتكر البوليس برهة ثم قال

= اظن انه لا مانع من اجابة طلبك فمتى وصلنا تجاه ادارة المستر **هنري جونز** اسير واياك اليه

ففرح **اسبيريدون** في قلبه فرحاً عظيماً اذ علم انه سيتمكن من مقابلة هذا الرجل واخذ رايه في الحادثة · وبقيا في العربة العمومية حتى وصلت بهما الى جوار المعمل فترجلا وسارا **واسبيريدون** كما ذكرنا مقيد بالحلقة الحديدية الى يد البوليس وهما يسيران جنباً الى جنب حتى وصلا الى ظاهر معمل المستر **هنري جونز** تجاه الادارة

وكان الرجل المذكور قد وصل الى ادارته في تلك الساعة وهو واقف خارج الباب يصدر اوامره الى بعض العمال ثم ابصر **اسبيريدون** قادماً فاسرع الى مقابلته بلطف وحياه التحية الودادية

التي عوّده عليها . ذلك ان هذا الرجل الكريم مد كلتا يديه الى الشاب السوري مرحّباً

اما اسبيريدون فانه مدّ يده اليسرى فقط قائلاً

= اعذرني ايها الصديق للاكتفاء بمد يدي اليسرى

= وما حال يدك الاخرى

= انها في حالتها الحاضرة دون ان تمس يدك الكريمة فان يدي اليمنى يد مجرم وهي كما ترى في الحديد

واذ ذاك انتبه المستر هنري فرأى ان الشاب كان لا يزال لاصقاً برجل آخر وامعن النظر فرأى يده مقيدة فدهش وصاح صيحة الحيرة والاستنكار

= ماذا فعل هذا الشاب حتى تعامله هذه المعاملة

وكان البوليس قد انزعج لما راى من انعطاف هذا الرجل العظيم الى الشاب فاجاب

= لا ادري ياسيدي وانما انا خاضع للاوامر

= قل ما ذنبه . واي حق لك ان تقيده . وما هو السبب . فانا اعرفه منذ سنوات واعلم انه لا يمكن ان يجني ذنباً يستحق هذه المعاملة

= لا ادري ياسيدي وكل ما اعلمه انني مأمور

= وهل معك امر رسمي

= نعم

= اطلعني عليه

فارتبك البوليس واطلع الرجل على الورقة

فقال له

= من حسن حظك انك اصبت هذا الشاب العاقل الهادي ولو انك حاولت مثل هذا معي لقتلتك في الحال

= عفواً ياسيدي فانا غير ملوم لانني غير مسؤول

فقال المستر هنري لاسبيريدون

= حسناً فعلت اذ سلمت للرجل بهدو . والان اخبرني ما تعرفه عن اسباب هذه الحادثة

= انا اجهل اسبابها واظن في الامر دسيسة من جامس فيلبس واخوته ولذلك جئتك معتمداً على مودتك ومكارم اخلاقك لعلك تقدر ان تضمني فلا اقضي ليلتي في السجن

= حسناً فعلتَ في حسن ظنك بي فاذهب الان معه الى المحكمة وحالما يحضر ابني وليم اسرع اليك مع محاميّ الخاص لنرى في امرك ولا تخشى شرًّا فسوف اهتم بامرك اهتمامي بامري الخصوصي

عند ذلك اغرورقت عينا اسبيريدون شعوراً بحسن معاملة هذا الرجل وشكر له كثيراً ثم ودعه وسار مع البوليس ورافقهما المستر هنري الى العربة فلما ركباها قال

= لا تخشَ شرًّا ايها الصديق

ولما انصرفا ظهرت على وجه مونسي علامات الغضب ونظر الى اسبيريدون نظرة لها معانٍ وقال

= قد خدعتني يا هذا ونجحت حيلتك وادركت مرادك فلم يكن في الامر سجاد ولا سيدات ولو علمت مرادك ما تساهلت معك ولو دفعت لي مليون ريال

= ليس معي هذا المبلغ ولكنك لما لم تحمني عمدت الى حماية ذاتي

= ولكن هذا لا يفيدك كثيرًا فسوف تنال العذاب الاليم وسيحكم عليك بالسجن ١٠ سنوات

= الحمد لله ان امري ليس في يدك وانا في بلاد حرّة حكومتها عادلة وسانال حقوقي



## ﴿ الفصل الخامس عشر ﴾

## في الحبس

قالوا حبستَ فقلتُ ليس بضائري حبسي وايّ مهندٍ لا يغمدُ
والحبس ما لم تغشهُ لدنيئةٍ شنعاء نعمَ المنزل المتوددُ

ونحو الساعة العاشرة صباحًا وصل اسبيريدون الى السجن فادخله مونسي الى مكتب المدير وهناك اخرجوا كل ما في جيوبه من الاوراق والدراهم فاخذها المدير وحاول مونسي ان ياخذ بعض الدراهم الفضية ولكن المدير قال

— ابقها معه فربما احتاج الى شيءٍ من النفقة

— ولكن المستر جامس فيلبس اوصاني ان آخذ منه كل شيءٍ

— لا باس فهذه الدراهم القليلة لا تذكر ولا تضر .

ووجدوا بين اوراقه ورقة كان قد رسم عليها شكل اختراع اراد اتمامه في اوقات الفراغ فلما اخذوها منه طلب ارجاعها اليه فرفضوا . ثم ان مونسي انفرد بالمدير وتحادثا سرًّا وكان اسبيريدون يسمع بعض كلماتهما وسمع مونسي يقول

— ان المستر فيلبس « يشوف خاطرك » وهو يرجوك رجاءً خصوصيًا ان تضع هذا الشاب في السجن الى الصباح وان تكتم امره

عن العموم وخصوصاً كتاب الجرائد

فلاحت دلائل الغضب على وجه المدير وقال

— انتم تتطرفون في مطالبكم وتسألون المستحيل وتجهلون انني في وظيفتي هذه خادم للعموم فكل حادث يحدث هنا عليّ ان ادوّنه في السجل وافتح سجلي لكتاب الجرائد متى ارادوا لانني اسير في نور ولا اخشى شرّاً

— لا يكدرك قولي فانما انا اردّد ما اوصاني به مرسلي

— لا يهمني امر مرسلك ولا امرك بل اسير بمقتضى القانون في اجراء واجباتي

ثم تحوّل المدير الى **اسبيريدون** وامره ان يسير مع سجان كان قد استدعاه فسار معه حتى اوصله الى حيث المجرمين وادخله الى غرفة ضيقة لا نافذة لها الا بابها الحديدي ولا رياش فيها الا سرير خشبي عليه شبه فراش وغطاء والغرفة مظلمة مخيفة خصوصاً للابرياء ثم اقفل الباب وتركه في اضطراب عظيم ولكن على امل من حضور صديقه الكريم المستر **هنري جونز**

* * * * * * * * * *

## في منزل المستر هنري جونز

كانت السيدة الجليلة قرينة المستر **هنري جونز** صباح ذلك النهار جالسة في مكتبتها تطالع جرائدها وتحاريرها واذا بجرس التليفون

يدق دقاً عنيفاً فاسرعت اليه وكان لها هذا الحديث

— هالو . من هذا

— هالو . صباحكِ سعيد ايتها العزيزة

— صباحك اسعد ايها العزيز ماذا تريد

— اريد ان اخبركِ ان صديقنا الشاب السوري اسبيريدون جحا واقع في صعوبة وقد قبض عليه البوليس اليوم

— عجيب وكيف ذلك ولماذا

— لا ادري حتى الان الاسباب وارجح انها دسيسة من بعض اعدائه فارجوكِ ان تعجلي وليم بالحضور الى الادارة لاتمكن من الذهاب الى مساعدة الشاب

— سارسله حالما يتمكن من الذهاب فانه الان يعتني بابنته التي تشعر اليوم بالم زائد عن العادة

ثم ان السيدة المشار اليها اخبرت ابنها بما ذكره لها والده . وما لبثت ان امرت باحضار عربتها فسارت الى السجن وهناك طلبت مقابلة السجين فلم يسمحوا لها بذلك فعادت الى زوجها آسفة

* * * * * * * * *

## في مكتب المحامي

كان في مدينة بتسبرغ محام اسمه جامس بورت وُلد سنة ١٨٤٨ واحرز شهادة القانون وله من العمر ٢١ سنة فهو من ذلك

الحين يدرس المحاماة واشتهر في جهات سكنه بالذكاء والعلم والخبرة حتى صار ثقة بين المحامين واتخذه اعظم الاعيان واصحاب الاشغال مستشارًا لمصالحهم القضائيـة وقد توفي منذ سنوات . وقالت عنه جريدة ( البرّس ) « كان من اعظم المحامين الممتازين خصوصاً في المحاكم الجنائية ثم انقطع في اواخر ايامه الى الاشغال الادارية وله تأليف قضائي خطير »

هذا المحامي كان وكيلاً عمومياً لمصالح المستر هنري جونز وكان يوم الحادثة التي نحنُ بصددها جالساً في مكتبه واذا بجرس التليفون يدعوه فلبى وقال

— من هذا

= انا جونز وارجوك ان تحضر حالاً الى مكتبي

= عندي شغل خصوصي الان ينتهي بعد ساعة

= ارجوك ان تؤخره فحاجتي اليك اعظم

= حسن

وللحال اسرع الى موكله المستر جونز الذي اخبره بما جرى لاسبيريدون وقال له

= امر هذا الشاب يهمني اولاً لاعتقادي انه بريء ثم لانه غريب لا معين له في هذه البلاد واخصامه اغنياء اقوياء فارجوك الذهاب معي للاهتمام بامره واخراجه من سجنه اليوم

وكان ابنه قد حضر فاسرع مع المحامي بورت حتى وصلا الى السجن نحو الساعة الرابعة بعد الظهر فاحضر المحامي ورقة تجيز لهما مقابلة السجين فاحضر اسبيريدون وقابلهما من وراء الحديد فقال المستر جونز

ــ لماذا سجنوك

ــ لا ادري

ــ لا باس فالان يدخل المحامي فحدثه بحقيقة الامر ولاتكتم عنه شيئًا وثق به فهو محامي ويعتني بامرك اعتنائي الذاتي

فدخل المحامي وسار مع اسبيريدون الى مكان منفرد وقال

ــ ما السبب الذي تظن انهم سجنوك من اجله

ــ لا اعلم انني جنيت ذنبًا الا انني احب الانسة فيلبس وهي تهواني وقد اتفقنا على الزواج فلما علم اخوتها بالامر غضبوا وبدأُوا باضطهادي

ثم شرح له خلاصة ما ذكرناه في الفصول السابقة فضحك المحامي كثيرًا وقال له

ــ لا تهتم بالامر ليس خطيرًا وساحضر حالا ورقة لاخراجك من السجن هذه الليلة . وفيما بقي فلا تخف شرًّا مهما كان اخصامك اقوياء فما دام المستر جونز نصيرك تنال الفوز ولا تصاب باذى

وانصرف المحامي فاخذ يبحث في دفاتر السجن والمحكمة فلم يجد

اسم اسبيريدون ولا تاريخ صدور الحكم بالقبض عليه · ولا يخفى انه لا يقوى على كفالته الاَّ بعد العلم بمحل صدور الامر فذهب الى روبرت فيلبس احد مأموري المحكمة وقال له

ــ لماذا سجنتم جحا

ــ اني سجنه وهو يستحق اكثر من ذلك وسنرسله الى السجن ١٠ سنوات

ــ وكيف تفعلون ذلك وانتم لستم الحكومة

ــ ذلك شأننا وحدنا

ــ ومن اين استصدرتم الامر بالقبض عليه

ــ لا اعلم ولو علمت ما اخبرتك

نقضى المحامي مدة في السعي والمخابرات حتى علم اخيرًا انهم لمزيد دهائهم لم يأخذوا الامر بسجنه من محكمة المدينة الكبرى بل من قاضي محكمة في آخر البلدة فارسل المحامي رسولاً الى القاضي للاستفهام واخذ صورة الامر فعاد الرسول بالجواب الكافي ولكن كان المساء قد امسى وصارت الساعة السابعة فلم يبقَ سبيل الى اخراج اسبيريدون وكفالته تلك الليلة وهكذا بقي مسجونًا فزاره المحامي وطيب خاطره ووعده خيرًا وقال

ــ سآتيك غدًا · والان انبهك الى امر مهم وهو انهم ربما ارادوا اطلاق سراحك هذه الليلة من تلقاء ذواتهم فاذا فعلوا

وسأ لوك الخروج اياك ان تفعل · الزم مكانك وارفض الخروج وقل لهم لا اترك السجن الا عند حضور محامي

وهكذا قضى الشاب تلك الليلة في السجن وهو في اضطراب عظيم

---

## ﴿ الفصل السابع عشر ﴾

### ماذا اجرى لاليصابات في تلك الليلة

تركنا **اسبيريدون** يقضي ليله في السجن وسنأتي على ما كان من امره · ونذكر الان ماجرى **لاليصابات** فانها لم تكن تعلم بما جرى ولا بما اضمره اخوتها فقضت نهارها مفكرة متأملة حتي المساء فعاد اخوتها ودخل كل واحد منهم الى غرفته وكانت الساعة السادسة مساء فخرجت الى ظاهر المنزل واخذت تمشي في الحديقة استعدادًا لوقت الطعام وكانت تبصر الرجال من كل جانب يراقبونها وهم افراد الخفية الذين استخدمهم اخوتها فلم تحفل بهم لانها علمت ان خطيبها غير آتٍ اليها وانه مسافر من المدينة · وفيما هي على ما ذكرنا من التأمل اذ

فاجأها رجل فظ الطباع شرس الاخلاق عليه كل دلائل التفريط في معاقرة الخمرة وهو احد رجال الخفية فجاءها وقال فجأة بلهجة خشنة وقلة احترام

ــ قد قبضنا على صاحبكِ ولن يفلت بعد الان

فاجفلت المسكينة لهذا النبأ المحزن المجائي وصاحت به

ــ اين هو

ــ هو الان يعض اصابع الندم في السجن في غرفة مظلمة بين المجرمين وقد قبضنا عليه اليوم وقيدناه بالحديد وسقناه في شوارع المدينة واركبناه العربات على مرأى من العموم . ولا اكتمكِ انه حاول المعارضة والمقاومة فلم يستفد خيرًا وهو الان في السجن فلن تري وجهه فيما بعد

فاستولى على الفتاة الحزن العظيم ولولم يكن قد بدأ الليل والمسافة بعيدة عن المدينة لحاولت الذهاب الى خطيبها لكنها رأت ان الاوفق استعمال اللين مع اخوتها فتركت الخفية حيث كان يزيد الازدراء والاحتقار واسرعت باكية الى غرفة اخيها جامس فدخلت وقالت

ــ ما هذا الذي فعلت يا اخي

ــ فعلت واجباتي للمحافظة على راحة العائلة

ــ ولكن لماذا سجنته ولا ذنب له . احلالٌ يا اخي ان ترتكب

هذا الخطأ وتلحق بذاتك هذا العار. فالشاب بريء لم يسيء اليك

— بل اساء اليّ واليكِ والى كل العائلة لما اغراكِ على الميل اليه وحملكِ على ترك عائلتكِ

— اخطأْت فانه لم يغرني

— كفى فسوف تبصرين العذاب الذي يقع فيه جزاء جسارته انه شقي شرير وسيبقى مسجونًا

— اخي رحماك اشفق عليه بل اشفق عليّ . ماذا جنيتُ وكيف اسأْت اليك حتى تجرحني هذا الجرح الاليم فتعامل خطيبي هذه المعاملة التي يصل كل تاثيرها اليّ . انت تعاقبه لانني احبه فهل هذا ذنبه . انني احبه واهواه ولو لم يحبني فانا المذنبة لا هو

وظنت **اليصابات** انها بقولها هذا تلين قلب اخيها اما هو فانه ازداد حنقًا وصاح بها شتمًا وتكديرًا ثم قال

— اصمتي ولا تلفظي كلمة واحدة بعدُ من هذا الموضوع او امدّ يدي اليكِ بسوء

اما تهديده هذا فلم يخفها بل افتكرت فقط بحال خطيبها وقلقه فلم تحفل بما ينالها من الاذى وجثت امام **جامس** ضارعة اليه ان يرحمها ويطلق سراح **اسبيريدون** ولكن قلبه القاسي لم يتأَثر فصرفها صرفًا سيئًا . ولما اعيتها الحيلة ذهبت الى كل واحد من اخوتها في غرفته وتوسلت الى كل واحد منهم بدوره ان يساعدها ويرحم حزنها

ويشفق على حالتها وكانت تبسط اليهم الرجاء باكية متوسلة متذللة شأن المرأة التي ملك الحب فؤادها فلم يبقَ لها صبر ولكنهم صرفوها كما صرفها جامس

فلما رأت ان لا خير يرجى من اخوتها علات النفس بالامال وذهبت الى مونسي وهو الخفية الذي قبض على اسبيريدون فقالت

— يامستر مونسي اتوسل اليك واستعين بشهامتك ان تخاطب اخوتي في امر المستر جحا واطلاق سراحه فهو بريء من كل ذنب ولو انك تعلم الحقائق شفقت على حزني وساعدتني

— قد اخبرني المستر جامس الحقيقة فارى الحق في جانبه ولذلك لا اساعدكِ فلا تنتظري مني ما لم يفعله اخوتكِ لانني عاجز عن مساعدتكِ بل لو قدرتُ ما فعلت

— ولكنك تجهل حقيقة الامر وانما علمتَ ما اوحاه اليك اخي

— لا اريد ان افهم غير ذلك

واذ ذاك جاء جامس فقطع حديثها قائلاً بلهجة عنيفة

— كفي عن محادثة مونسي فهو قد تعب كثيرًا اليوم ويحتاج الى راحة وهو ذاهب الان الى غرفته لينام

واذ ذاك ذهب مونسي قاصدًا غرفته فصاحت به اليصابات

— انك تذكرني بشاكسبير يامستر مونسي

فالتفت اليها الرجل وهو لم يفهم مرادها وقال

— ماذا تقولين

— اقول انك تذكرني بشاكسبير

— وما هو الذي تذكرينه

— اذكر قوله

***Thou wouldst have money***

فازداد كدر مونسي وظلّ سائرًا وقد قال بصوت اجش

— سأُريكِ ماذا اطلب

وهكذا انصرف كل واحد من اخوتها وافراد البوليس الى غرفته وتركوا الفتاة وحدها تناجي همومها وتضطرب ذاكرة ان حبيبها يقضي ليله في السجن

*********

مضت ساعة على اليصابات وهي مضطربة قلقة تارة تبكي وطورًا تعزم ثم لا ترى سبيلاً الى الخلاص وهي يومئذٍ لا تعلم من امر حقوقها شيئًا ولا تدري ان اخوتها ظلموها وتجهل الطرق المؤدية الى كبح جماح معاملتهم هذه ثم انها قد سلمت امورها الى جامس فتولى زمام مصالحها فلم تعلم ما عليها وما لها فكانت تثق بكل اقوالهم وتصدق كل تهديداتهم

وفيما هي على ما ذكرنا فتح باب غرفتها ودخل شقيقها وليم وكان يحبها محبة عظيمة فجلس امامها وامسك بيديها وقال بصوت خنقه البكاء

— عزيزتي اليصابات انكِ في خطر عظيم ولا سبيل الى نجاتكِ وخلاص المسترجمنا الا بواسطة واحدة

ــ وما هي

ــ هي ان تكتبي جميع املاككِ واموالكِ الخاصة والعامة من مال وعقار و بيوت واسهم لاخي جامس واذ ذاك يطلق سراح اسبيريدون ولا يصاب باذًى

ــ وكيف ترجو مني ان افعل كل ذلك . ولماذا افعل . هذه الاموال والاملاك حصتي الخاصة ولا تزيد عن حصة كل واحد منكم . وفضلاً عن ذلك فان املاكي واموالي معطاة لي من والديّ وهي حقي الصريح فكيف اتنازل عنها بدون سبب . ولو انها منكم او من احدكم لتنازلت عنها حالاً ولكن لا ارى سبيلاً الى ترك حصتي

فاخذ وليم يبكي كالطفل ويلحّ عليها ان تفعل . فلما اصرّت على الرفض قال

ــ انت تجهلين ايتها العزيزة الخطر المحيط بكِ والمصاب الذي يتهددكِ . فانا انصح لكِ نصيحة اخ محبّ ان تتنازلي عن حصتكِ لجامس او تندمين ندمًا عظيمًا واؤكد لكِ انه متى ازف الوقت فان جامس يعيدها لكِ كاملة . واعدكِ بشرفي انه اذا لم يفعل فانا وروبرت نعيد اليكِ قيمتها وانما اريد منكِ الان ان تعدلي عن عنادكِ لانقاذ نفسكِ من الخطر العظيم المعد لكِ وله

— لا افعل ولا افعل لانني صاحبة حق

— اذن يبقى **اسبيريدون** في الحبس بل ينقل الى سجن الاشغال حيث يبقى ١٠ سنوات وهناك يمارس صنع الاحذية نظير سائر المجرمين

فاضطربت **اليصابات** لهذا التهديد وخشيت ان يستطيع اخوتها الحاق كل هذا الاذى بالرجل الذي تهوى وقضت الليل في اضطراب



## ﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

## ماذا جرى لاليصابات صباحًا

اصبحت **اليصابات** في اليوم الثاني ضعيفة القوى الجسدية مضطربة في قواها العقلية لانها لم تكن قد ذاقت الطعام ولا المنام . واخذت تراقب حركات اخوتها لتعلم ما يكون من امرهم . وفيما هي واقفة في جانب من القاعة وجامس لا يراها او يتظاهر انه لا يراها سمعته يقول لمونسي

— اياك ان تتركها . وهوذا العربة على الباب . خذها حالاً . فاذا عارضت خذها قهرًا ولو اضطررت الى استعمال العنف والقوة.

وسمعت **اليصابات** هذه الاوامر الصارمة فقالت في نفسها

— انهم مصرّون على اخذي . ولا ادري الى اين . ولهم القوة وانا ضعيفة بين ايديهم فالاوفق ان لا امانع اذ لا فائدة من المعارضة

وبعد قليل اجتمع اخوتها في القاعة ودعوها فقال جامس

— انتِ تعلمين الان ان هذا الشاب الذي اخترتِ التعلق به قد زُج في السجن وانه قضى ليله هناك . وقد اظهرتِ في تصرفكِ ضعفًا عظيمًا ونحن نعلم ان الرجل شرير قد غرّه مالكِ وثروتكِ واملاككِ فنريد ان نحافظ على سعادتكِ وراحتكِ بحفظ حصتكِ

سالمة من اعتدائه وطمعه وجهلك ولما كنتُ انا كبير العائلة اطلب منك ان تنقلي اليَّ بطريقة قانونية جميع املاكك وعقارك ومالك النقدي الموجود باسمك في المصارف وجميع الحصص والاسهم في جميع الشركات

— هذا جنون وطلب مستحيل وظلم فاضح وانا في سن الرشد والمال مالي الخاص فلا افعل

— اعلمي انك اذا لم تفعلي ما اقوله الان فاننا نبقي جحا في السجن عدة سنوات يمارس الاشغال الشاقة ثم متى خرج ارسلناه الى وطنه شأن المجرم الذي لا يجوز له ان يبقى في هذه البلاد ويمنع من الرجوع اليها كل حياته

فتأملت **اليصابات** برهة وصدَّقت وعيدهم وتغلب حبها **لاسبيريدون** على كل مالها وثروتها فقالت

— واذا فعلتُ فهل يخرج من السجن حالاً

— نعم يخرج الان

— اذاً افعل وامضي معكم على هذا الشرط

وهكذا اركبوها العربة وساروا بها الى المدينة حتى وصلوا الى مكتب المحامي **ديكي** وقد اتفق مع اخوتها واحضر اوراق التنازل واعدَّها كما شاء وشاء اخوتها

فلما قابلها المحمي اخذ في تخويفها تكراراً ثم قال

— اخوتكِ قد عاملوكِ افضل معاملة وهم الآن يحجز املاكك يحرصون على راحتكِ ومصلحتكِ

ثم قدم لها الاوراق لتمضي عليها فقالت

— انني مستعدة ان امضي هذه الاوراق التي لا اعلم ما فيها ولا كيف كتبت وكل ما اطلبه مقابل عملي ان تسمحوا لي ان اراه قبل ذلك

فقال جامس

— هذا مستحيل

وقال وليم

ـ لا يمكن ان نسمح لكِ بما تريدين . هل فقدتِ كل عقلكِ كيف تذهبين الى الحبس . كيف تدخلين الى محلات المجرمين . وكم يضحك الناس وكم تهزأ بكِ العائلات

ـ تقولون انكم تفرجون عنه . اذًا عدوني ان اراه هذا الصباح

فقال المحامي

ـ لا باس ان تراه هذا الصباح بعد ان تضع توقيعها

وقال جامس

ـ لا مانع عندي شرط ان لا تكلمه

فقالت اليصابات

ـ اكتفي ان اراه

« في تلك الساعة ختمت اليصابات فيلبس عقد خطبتها »
« ومودتها لاسبيريدون جحا بخاتم ذهبي ثمين · اذ ذاك »
« اكدت له وللعموم ان حبها لخطيبها اعظم من كل ثروتها »
« واذ ذاك تنازلت عن الالوف المؤلفة من الريالات »
« والافدنة المتعددة من الارض والاسهم الكثيرة الثمن · »
« والحصص البالغة في سبيل سلامة من تهواه · اذ ذاك »
« ظهرت هذه الفتاة بمظهر الشهامة والفضيلة · ووضعت »
« توقيعها على الاوراق وخرجت من مكتب المحامي فقيرة »
« لا تملك ريالاً واحداً · ولكن في قلبها مودة رجل تهواه »
« وتثق به وهي ذاهبة لتراه — ذاهبة لتنقذه من خطر · »
« لتخرجه من السجن »

---

## ﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

### ماذا جرى لاسبيريدون صباحاً

نترك **اليصابات** ذاهبة من مكتب المحامي الى السجن لترى خطيبها وتخرجه من سجنه ونعود الى ذكر ما جرى له

قضى ليله في السجن مضطرباً لا يعلم ما يكون في الغد ولكن ثقته من براءته جعلته واثقاً بالخلاص . فلما اصبح الصباح جاءه السجان واخرجه وسار به الى غرفة المدير فقال له

ـ ارجو ان لا تكون قد تعذبت كثيراً في الليل والان فهوذا جميع اوراقك ودراهمك وجميع ما اخذته منك امس يعاد اليك

وبعد ان سلمه كل ذلك اشار اليه ان يدخل غرفة مجاورة فدخل **اسبيريدون** وهو لا يعلم لا هناك

فتصوّر ايها القاري مزيد دهشته اذ رأى في الغرفة **جامس فيلبس** واخويه ومحاميهم **ومونسي** وسائر رجال الخفية وعدداً من كتّاب الجرائد ثم راى **اليصابات** جالسة في اقصى الغرفة ومعها الخادمة فحالما دخل وراى القوم دهش ولكنه تقدم الى **اليصابات** التي ما لبثت ان نهضت من مجلسها وسارت امام ذلك الجمع فمدّت اليه كلتا يديها مرحبة وصافحته بمزيد الحنان واللهفة وقالت بصوت سمعه الجميع

ـ انني حزينة لما اصابك

فشكر لها غيرتها واراد ان يجلس بجانبها فغضب **جامس** واوعز الى **حنة** ان تجلس بينهما

فقالت **اليصابات**

ـ يا**جامس** لا تسيء التصرف

ـ ابعدي هذا الرجل عنكِ

وقالت **حنة**

ـ نعم هو شقي لا يستحق ان يجلس بجانبكِ

ومع ان **اسبيريدون** ادهشه تصرف الخادمة وانقلابها عذرها اذ ادرك الاسباب ولكنه وجه خطابه الى **اليصابات** وقال

ـ كيف صحتكِ ارجو ان لا تتكدري لما جرى

فصاح به **جامس**

ـ اصمت فلا حق لك ان تحادثها

ـ حقي مساوٍ لحقك بل هو اعظم

واذ ذاك دخل المستر **بورت** المحامي عن **اسبيريدون** واوعز اليه ان يتبعه فظن الشاب انه مدعوّ الى الجلسة للمحاكمة ولم يعلم انه صار حرًّا فترك الغرفة على امل الرجوع ومقابلة خطيبته اما المحامي فاخذه الى مكتبه فقال **اسبيريدون**

ـ اين انا والى اين ذاهب واين المحكمة ومتى المحاكمة

ــ لا محاكمة ولا حكومة فانت حرٌّ

ــ ولكن كنت معها وقابلتها بعض الانتظار الطويل ثم تركتها بدون وداع ولا سلام

ــ لم اعلم انها الانسة فيلبس اذًا فارجع اليها

فاسرع اسبيريدون الى غرفة السجن ليراها ولكن لم يجدها وقيل له انها بعد خروجه ركبت عربتها مع اخوتها وانصرفت فكان كدره عظيمًا جدًّا ولكنه عاد الى مكتب المحامي فوجد كتاب الجرائد ينتظرونه فذكر لهم خلاصة الحوادث واسبابها وحكى لهم عن المكتوب الذي فتحه جامس واخذه من ادارة بريد هومسدايل فقال المحامي

ــ اصحيح ما تقول. ان في هذا ما تهتم له الحكومة الاميركية

وللحال سار به المحامي الى ناظر بوسطة بتسبرغ العام واطلعه على ما جرى فاخذ المعلومات الكافية واستفهم بواسطة التليفون من بوسطة هومسدايل عن اسم الفتاة التي سلمت التحرير وكتب كتابًا رسميًا الى جامس يكلفه ان يحضر لمقابلته

اما اسبيريدون فلما وجد انه صار حرًّا انصرف في سبيله وسار الى المستر هنري جونز فشكر له اهتمامه به. وجاءه الكتاب الاتي من الانسة اني كونراد رئيسة مدرسة الاحد في كنيسة بتسبرغ الكبرى وفيه دلالة على منزلته ومقامه

بتسبرغ في ١٢ حزيران سنة ١٨٩٦

حضرة المستر جحا

ساءني جدًّا ما قرأته في جريدة الليدر يوم الجمعة عما نالك من من الصعوبات والاضطهاد ولكن عدتُ فسررت اذ قرأت امس ان عذابك انتهى فانني منذ عرفتك لم اجد منك الاَّ ما يدلُّ على انك شريف الاخلاق مسيحي المبادي فادعو لك بمستقبل سعيد هنيء

صديقتك

**اني ا· كونراد**

وهذا تعريب خلاصة ما ورد في جريدة **بتسبرغ ديسباتش** بهذا الشان بتاريخ ٤ كانون الاول ١٨٩٦

« **اسبيريدون جحا** السوري موجود الان في السجن وكل ما يحيط بدعواه مكتنف بالظلمة والسرّ فهو لا يعلم لماذا سُجن الا اذا كان لانه يهوى فتاة غنية من بنات القسم الشرقي وهو قسم الاعيان وهي تحبه· وجميع الذين لهم علاقة بحبسه لا يقولون شيئًا وكل ما امكن الوقوف عليه من الامر الصادر بحبسه هو « ان **اسبيريدون جحا** المعروف ايضًا باسم **باتريك جونز** وايضًا باسم **ه· ت· غزال** متهم بدسيسة » والمدعي عليه هو **جامس فيلبس** ومامور الاوراق ملازم الصمت والكتمان· اما **جامس فيلبس** المدعي فيقيم في المنزل الكولوني القديم في افنيو فيلبس على **سكوريل هل**" وهو منزل فخيم قديم ونقيم

معه اخته وهي فتاة حسناء لها من العمر ٢٢ سنة و يقال انها تحب الشاب السوري وهو فتى جميل الوجه اسود العينين اسود الشعر ذلك الشكل الذي يستوجب المحبة من كل فتاة تراه ولما وُضع الشاب في السجن طلب المدعي من المدير ان يكتم الامر عن الصحف فانكر عليه ذلك وقد تولى المحاماة عنه المحامي **بورت** المعروف الذي يقول ان التهمة غير قانونية . ولا يخفى ان المستر ميتشل الذي اصدر الامر بحبس الشاب حديث العهد في وظيفته فلا يعلم واجباتها »

اما السبب في خروج **اسبيريدون** من السجن فلم يكن حقيقة ما توهمته **العصابات** من انه حصل بارادة اخوتها لان **جامس** اسقط دعواه عن **اسبيريدون** لما رأى ان الامر وصل الى الجرائد وان محامي الشاب مشهور وله انصار مثل المستر هنري جونز فقالت جريدة **الديسباتش**

« امس انتهت الدعوى على **اسبيريدون** جحا فجأة وقال **جامس فيلبس** ان الامر انتهى باتفاق متبادل واما جحا فلا يعلم شيئًا من امر ذلك الاتفاق وكل ما يعلمه انه أُخرج من السجن وقيل له انه حرّ »

## ﴿ الفصل العشرون ﴾

### تخابرات وجلسات مع اخوتها

غير خافٍ ان جامس فيلبس انما وضع اسبيريدون في السجن ليلة واحدة بدون حق و بطريقة غير قانونية كما ظهر للقارىء وكان في نيته ان لا يخرجه منه لولا ان الشاب استجار بالمستر هنري جونز وهكذا تعلم ان له الحق بعد خروجه أن يرفع دعوى على جامس فقابل المحامي بورت وفاتحه بالامر فنصح له ان يداعي الرجل و يطالبه بعوض مالي لا يقلّ عن ٢٠ الف ريال فقال الشاب انه راضٍ بالاقدام على ذلك ولكنه يريد اولاً مكاتبة اليصابات ليرى رايها قال المحامي اكتب لها ما يجول في خاطرك

فكتب اليها اسبيريدون تحريرًا وارسله بواسطة مدير البوسطة فلم يرد جوابه فعاد وارسل تحريرًا آخر مع رسول خاص واقام ينتظر. واذا بالبريد يحمل اليه الرسالة الاتية ترجمتها

بتسبرغ في ٧ كانون الاول سنة ١٨٩٦

المستر اسبيريدون جحا

سيدي العزيز

ارجوك ان توافيني الى منزل اخي وليم في ٦٢٠ كليفلاند افنيو

الساعة ٢ بعد الظهر من يوم الثلثا ولا ينالك اذى     كتبته

**اليزا ب . فيلبس**

هذا التحرير جاءه عن يد مدير البوسطة ثم جاءه تحرير آخر من اخيها وليم يسأله زيارته فذهب في الوقت المعين وسار معه بعض اصدقائه من السوريين حتى اذا وجدوه في خطر دافعوا عنه فدخل المنزل واقاموا خارجاً ينتظرون فوجد **اليصابات** واخيها وليم وقرينته بانتظاره . وكان **جامس وروبرت** ورجال البوليس في الطبقة العليا وجامس يحاول النزول للاعتداء على الشاب وهم يمنعونه فبعد ان سلم وجلس قال وليم

— لا شك انك تريد ان تعلم السبب الذي من اجله دعوناك

— نعم اريد ذلك

— اذاً فاعلم ان ما سبق وجرى لك مع اختي **اليصابات** انما كان عن طيش الصبا والجهل فالان اريد منك ان ترد اليها جميع محاريرها وهداياها وهي تردّ اليك تحاريرك وهداياك ثم تفسخ الخطبة ويمضي كل واحد منكما في سبيله

— لا ارى وجهاً لاجابة طلبك وانت لا شان لك في ما هو جارٍ بين خطيبين وانا ارفض فسخ الخطبة وارجاع او استرجاع شيء من التحارير والهدايا الا اذا كان ذلك مراد الانسة **اليصابات** واذ ذاك لا اعارض

— هذا ما تريده هي بالذات وانا اقول ذلك بلسانها

— اسمح لي ان احادثها في خلوة مدة ٥ دقائق ثم افعل ما تريد

— هذا غير ممكن

— ورضاي بما تطلب اذن مستحيل

اخيرًا قالت اليصابات بلهجة المضطر

— اريد فسخ الخطبة موقتًا

قالت هذا واشارت بعينيها انها غير راضية

فعلم اسبيريدون انها مضطرة واراد ان يزيل اضطرابها ويساعدها على الراحة مع اخوتها فقال

— اذًا اعد ان اعيد بعض التحارير

وهكذا انصرف وهو ينوي ان ينجز وعده لكنه لما قابل المحامي بورت عدل عن عزمه وقرر رفع دعواه على جامس

وبعد ايام قليلة جاءه التحرير الآتي من اخيها

المستر س · جحا

انا موجود في بيتي ٦٢٠ كوبلاند افنيو وحسب الاتفاق احضرت كل شيء فاحضر وانا انتظر وساهتم في ان يكون استقبالك حسنًا فلا يساء اليك الداعي

وليم فيلبس

فذهب اسبيريدون الى منزل وليم وهذا عاتبه على اخلافه الوعد فقال

لا ازال انوي ان انجز وعدي على انني لم اضرب للانجاز موعداً معلوماً فاعلم انك اذا سمحت لي بمحادثتها ولو ٥ دقائق على حدة اسلمك كل شيء

— اجتماعك بها مستحيل وانا ارفض اجابة طلبك

— اذن انا ارفض ايضاً

فنهض وليم غاضباً وصاح به

— ياجحدا قد تلاشت كل ثقتي بك

— ذلك لا يضرّني

— مثلك يجسر ان يعارضني

— اذا كان في حفظ كرامتي وحقي فاجسر على اكثر من ذلك

قال هذا وخرج وقد قرّر قطع المخابرات معهم ورفع الدعوى على جامس

—*✵*—

## ﴿ الفصل الحادي والعشرون ﴾

### دعواه على جامس وتحرير من اليصابات استخدام جورج

ذهب اسبيريدون راساً الى المحامي بورت فلما دخل عليه قال

— قررت رفع دعواي على جامس فيلبس بمبلغ ٢٠ الف ريال تعويضاً عما فرط منه من الاساءة اليّ

— حسناً فعلت وانا اتولى امر دعواك واضمن لك النجاح

ثم ان المحامي خاطب المستر هنري جونز بالتلفون فقال

— قد سلمني الخواجا جحا دعواه على جامس فيلبس وتوليتُ امرها فما رايكم

— حسناً فعل وحسناً فعلتَ ويسرّني ان جحا يطالب بحقه والتعويض اللازم . فهنئه عني سلفاً وابلغه دعائي له بالنجاح وقل له ان يعتمد عليّ في كل معونة يحتاج اليها

فلما بدأت الدعوى على جامس هال امرها الرجل لعلمه انه مخطئ واخذت الجرائد تنقل اخبارها وتفاصيلها

وكانت اليصابات تتبادل وخطيبها التحارير بطريقة توفقا اليها وهي شهامة رجل اسمه جورج . اما كيف حصلا على مساعدة هذا الرجل فاليك بيانه

كان لاسبيريدون واخيه محل تجاري في بتسبرغ وكان المحل كبيرًا جدًّا فجاء رجل اميركي اسمه دوفر واستأجر من اسبيريدون جزءًا من الدكان وجعله مركزًا لاشغاله التي كانت إعداد المراكز لطالبي الاشغال · ولما تعدّد اجتماع اسبيريدون بالاميركي دوفر علم هذا ما كان من امر حوادثه فمال اليه طبعًا وحدث ذات يوم ان احد رجال الخفية الذين استخدمهم جامس واسمه جاك جاء مكتب دوفر وسأله عن رجل يستخدم معهم في مراقبة اليصابات واخبره جاك بحديث الفتاة وحالتها وانه يحتاج الى رجل يساعدهم وان العمل غير شاق · وكان جاك يجهل ان دوفر يعرف اسبيريدون ويوده اما هذا فعمد في الحال الى استدعاء رجل اسمه جورج كان يثق به وارسله في هذه الوظيفة وشرح له الحقيقة وساله ان يسعى في صالح الفتاة وعاشقها

فلما قضى جورج مدة في منزل فيلبس وكان يقوم بوظيفة مراقبة اليصابات شعر بميل الى مساعدتها اذ تأكد انها مظلومة فتظاهر بالخشونة في معاملتها وبالشدة والتدقيق في مراقبتها ثم حاول محادثتها وهي نافرة منه لا تعلم ما يريده من الخير لها · وكان يتاخر عن الحضور الى الطعام قصدًا حتى يخلو له الجو فيقابلها وحدها فلما قابلها مرارًا واظهر لها انه صديقها وهي تنكر عليه ذلك خوفًا قال لها

— ارسلي معي رسالة الى جحا تظهر لكِ صحة مقاصدي

واخيرًا رأت ان تمتحنه فسلمته كتابًا بسيطًا جدًا واذ ذاك اجتمع به اسبيريدن وصادقه وشكره على شهامته واحسن اليه بما زاد الرجل ميلاً فصار رسول العاشقين الامين من ذلك الحين

ومما يذكر ان الخادمة دينا لما رات مولاتها تحصل على تحارير ولا تعلم باية طريقة سألتها ذات يوم من اين تصل اليك التحارير

فاجابتها اليصابات هازلة

— يأتيني بها الرجل الصغير في جوف الارض

فاسرعت دينا واخبرت جامس بما قالته لها فظنوا لشدة خوفهم ان اسبيريدون ياتي الحديقة ليلاً ويضع التحارير في حفر من الحديقة فاخذوا مع البوليس يفتشون وينبشون واليصابات تضحك في سرها عليهم

وقرأت اليصابات في الجرائد خبر رفع خطيبها دعواه على اخيها وعلمت انهم من بعد ذلك يزيدون في عذابها ويشددون عليها عن مقابلته ويصعب عليها ان تراه فكتبت اليه ما ياتي

بتسبرغ كانون الاول سنة ١٨٩٦

عزيزي اسبيريدون

علمت من جريدة الديسباتش الصادرة يوم السبت انك بدأت دعواك على اخي طالبًا التعويض فارجوك ان تسحب الدعوى . كل شيء ينتهي على خير في المستقبل . ثق بالله فنصل الى الطريق

القويم حالاً . لا اقدر ان اراك الان ولكن افعل ما اقوله . اسحب دعواك . امتنع عن المطالبة . انا اعلم انك صاحب حق وحقك ظاهر ولكن دعواك توجب لي عذاباً . انت لا تعلم ما انا فيه . ان الخفية المسمى جاكوب تردّد مراراً على منزل حنة واخذ كل قراراتها وقرارات دينا وسيوجب لها تعباً . عزيزي — اذكر التي تحبها . وسارسل تحريراً في الاسبوع القادم اوضح فيه كل شيء . اما ظنك انني امضيتُ ورقة تعهدتُ فيها بقطع العلاقات معك فغير صحيح وانما امضيتُ ورقة اعطيت فيها كل اموالي واملاكي ولم أكن لافعل ذلك لولا ان اخوتي قالوا انهم لا يخرجونك من السجن ابداً . سارسل هذا التحرير مع جورج فافعل ما اوصيك به اسحب دعواك عن اخي . ويقول لي المستر ويكي المحامي ان اكراههم لي على ترك اموالي كان بحضور شهود ولذلك اقدر يوماً ما ان استردها او يتهمون بدسيسة وخيانة لا تصدق اقوال الوشاة ايها العزيز فانا احبك واحبك واكرّر انني احبك ولا احب سواك . ولا يمكن لاحد ان يحول بيني و بينك . يمكنهم ان ياخذوا مالي واملاكي وجسدي وصحتي ولكن يعجزون عن قطع قلبي ومنعه عن الميل اليك فاسحب الدعوى . احرق هذا حال وصوله حتى لا يعلموا به فانهم لا يسمحون لي بالكتابة

الصادقة في محبتك

**اليصابات**

وقد صدق ظنها الظاهر في تحريرها فان اخوتها زادوا في التضييق عليها وتعذيبها اذ علموا انها لا تزال تهوى الشاب السوري وتخابره

وبلغ من تضييقهم عليها انهم وضعوا عدة من الرجال في المنزل ليلاً نهارًا للسهر والمراقبة وجعلوا الخادمة دينا تنام في الغرفة المجاورة لغرفتها فلا تستطيع ان تاتي بحركة لا يراها الرقباء حتى انها كانت تكتب التحارير في بيت الحمام واخيرًا لما اظهر جورج لها انه صديقها وجعلت تعتمد عليه جاءها ذات يوم قائلاً

— انصح لكِ ان تهربي حالاً

— ولماذا

— لان اخوتكِ يضمرون لكِ الشرّ

— واي شرّ فوق الذي فعلوه فقد سلبوني كل ثروتي وحرّيتي وانا سجينة هنا

— يوجد شر اعظم

— وما هو

— اخشى ان اقوله · فقد سمعتهم يحدثون بعض الخفية انهم ينوون اخذكِ الى مأوى المجانين بدعوى انكِ معتوهة

— ولكن كيف اتمكن من الفرار وهؤلاء الرجال يراقبون كل حركاتي

— اتركي الامر لي فانا اذهب بهم الى الغرفة الخارجية واحضر

زجاجة من الشراب واشغلهم بلعب الورق ساعة او اكثر واذ ذاك يخلو لكِ الجو وتهربين

فعظم الامر على الفتاة وخافت خوفاً عظيماً وقرَّرت العمل بمشورة جورج فخرجت في الوقت المعين واذا بالخادمة دينا قد عارضتها قائلة ماذا تريدين

ــ كنت خارجة لآتي بشربة ماء

ــ الماء في غرفتكِ فلا تخرجي

فاقامت برهة ثم نادت دينا وقالت

ــ اريد ان امشي مسافة للنزهة

ــ لا اقدر ان اسمح لكِ فان اوامر سيدي صارمة ان لا اتركك وحدكِ

ــ اذن فاذهبي معي

ــ الى اين

ــ الى الحديقة

وما لبثت ترجوها وتحتال عليها حتى سارت معها فاسرعتا حتى خرجنا من الحديقة واذ ذاك اجفلت الخادمة وتوقفت قائلة

ــ الى اين من هنا

ــ الى الفرار من هذا المكان · من هذا السجن

ــ ويلاه ماذا يحلّ بي

ـ لا شيء اذا كنتِ حكيمة فسيري معي وانا ابقيكِ في خدمتي

اما دينا فحاولت الرجوع فقالت **اليصابات**

ـ لا فائدة لكِ من الرجوع الان لانكِ ترجعين وحدكِ وتلامين وينالكِ من غضب **جامس** فالاوفق ان تسيري معي

وهكذا سارتا عن الاكمة الى جهة **بتسبرغ** والطرق وعرة والاشجار غضة والهارب كثير الخوف من كل حركة واخيرًا عجزت **دينا** عن المسير فتركتها **اليصابات** وسارت وحدها هائمة على وجهها هاربة من جور اخوتها حتى وصلت الى منزل المستر سكوت نسيبها فاقامت لديه

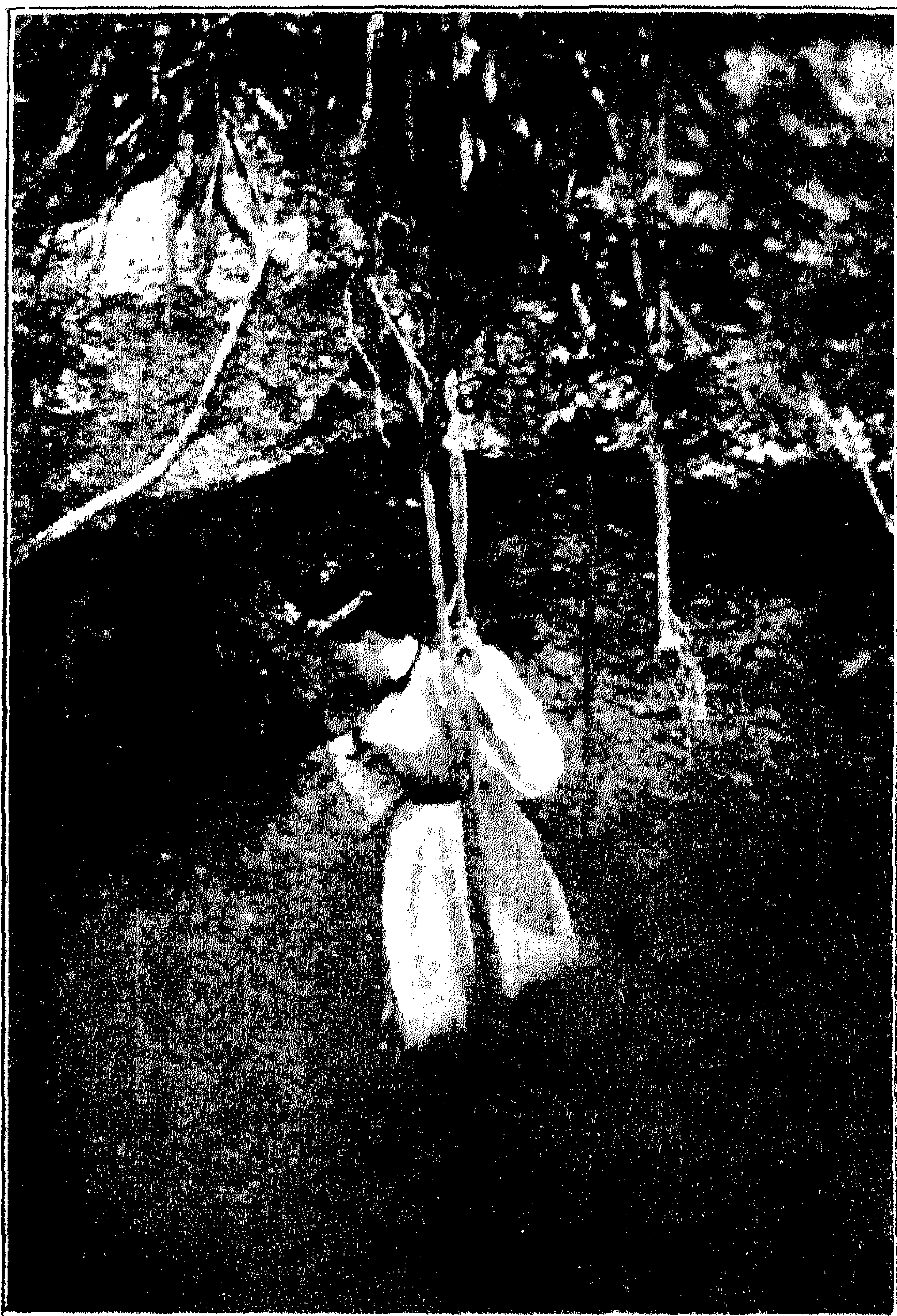
ولا تسل عن اضطراب اخوتها لما علموا انها تركت المنزل فملأ وا البلاد استفهامًا حتى علموا انها لدى مستر سكوت فاطمأن خاطرهم

## ﴿ الفصل الثاني والعشرون ﴾

### سفر وبعاد وحوادث

اقامت اليصابات الان مع مسز **سكوت** متمتعة على الاقل بالراحة القليلة متخلصة من شراسة اخوتها وسوء معاملتهم ولكن نفوذهم ظل قويًا عليها وبواسطة مسز **سكوت** وزوجها جعلوها اسيرة في ذلك المنزل ايضًا فلم يسمح لها بالخروج منه وحدها . وكان **اسبيريدون** قد اهدى اليها سجادة صغيرة صنعها بيده ونسج في وسطها مثال الشمس وعلى كل من جانبيها طيرٌ اشارة الى نور الامل وجعل تاريخ سنة ١٨٩٥ منسوجًا عليها بالانكليزية والعربية ثم حاك في الجانب الاعلى منها بالحروف الانكليزية اوائل حروف اسمه واسمها هكذا S. E. واتصل هذه الايام باخوتها خبر السجادة وما كتب عليها فعمد المستر **سكوت** الى تمزيق الحرفين — ذلك انتقام العاجز ظنًا من القوم انهم اذا مزقوا الحروف فقد فصلوا بين اميال العاشقين

ثم لما انقضت مدة طويلة وهي مصرة على ميلها الى الشاب لم يروا اوفق من ابعادها عنه فاخذوها الى جهات الجنوب وسار معها شقيقها وليم وامرأته . اخذوها من منزل **سكوت** سرًّا وابلغوا



18

اليدابات وهي منفية في الجنوب سنة ١٨٩٧

الجرائد انها سافرت الى اوربا للنزهة قصد ان لا يدري اسبيريدون بمحل وجودها فهزأت الصحف بهم وقالت الديسباتش في مقالة مطوّلة عن هذه الحادثة « ان عائلة فيلبس اخطأت في اخذ الفتاة الى اوربا اذا كان مرادهم ابعاد عاشقها السوري عنها فهو في اوربا اقدر على مقابلتها واخذها منه في هذه البلاد »

اما اسبيريدون فعلم الحقيقة ولما رأى انها سافرت عاد الى ممارسة اشغاله منتظرًا ما يكون من حوادث الاقدار

فلما كان ذات يوم في كرينسبرغ جاءه منها الكتاب الآتي بدون تاريخ ولا امضا

عزيزي اسبيريدون

انا الان في الجنوب وهذه اول فرصة قدرت ان اغتنمها لاخبرك عن محل وجودي · ارجوك ان لا تجاوب على هذا · صحتي حسنة وارجو مثل ذلك لك لا تطلع احدًا على تحريري وارجو ان اراك عن قريب · انت تعلم ان هذا التحرير مني ولو لم اضع توقيعي · لا تجاوب فان جوابك يسبب لي عناء عظيمًا

ثم اخذت تراسله مراسلات قليلة حتى اذا كان ذات يوم في كليفلاند جاءه كتاب منها من بتسبرغ تفيده انها عادت الى المدينة وانها مقيمة في منزل سكوت واذ ذاك تبادلا عدة تحارير ثم اتفقا على

الاجتماع فاجتمعا ولما رآها لم يعرفها لما طرأ على صحتها من التغيير فانها سقمت وصارت نحيلة ضعيفة منهوكة القوى وفي غضون هذا الاجتماع قرّرت ان تقضي الامر وان تزفّ اليه وتمضي معه ولكن اخرت ذلك ريثما تسترجع املاكها



## ﴿ الفصل الثالث والعشرون ﴾

### دعوى اليصابات على اخيها

بعد ان اقامت **اليصابات** مدة عند **سكوت** وارتاحت من شراسة اخوتها عمد هؤلاء الى استخدام صهرهم المذكور رسولاً بينهم وبين **اسبيريدون** ليحملوه على قطع علاقاته مع اختهم . واراد **اسبيريدون** استرضاءهم حتى لا يزيدوا في معارضتها فارجع اليهم عن يد **سكوت** بعد التحارير والهدايا ما عدا خاتم الخطبة فانه حفظه وارسل آخر من شكله كما ان **اليصابات** فعلت مثل ذلك

ثم ان **اليصابات** قابلت المحامي **جون برون** من مكتب مشهور وبواسطته رفعت دعوى على اخيها **جامس** طالبة استرجاع املاكها واموالها الماخوذة منها بالحيلة . وهنا ننشر اصل النتيجة الانكليزية التي قدمها المحامي باسم الفتاة الى المحكمة ليتأكد القراء صحة كل ما ذكرناه فيما مضى

clared null and void; and that the said James B. Phillips be ordered and decreed to surrender them for cancellation, and to convey to your orator in fee all the estate in the said deed contained; and to reconvey, reassign and restore unto your orator the said mortgage, property, stocks, bonds, securities and money so obtained without consideration.

*Fifth.* And such further and general relief as to your Honorable Court may seem meet in the premises.

A. M. & JOHN D. BROWN,
*Solicitors for Plaintiff.*

*ALLEGHENY COUNTY, SS.*

I, Eliza B. Phillips, plaintiff, being duly sworn according to law, depose and say, that the facts alleged in the foregoing bill are true and correct, as I verily believe.

ELIZA B. PHILLIPS.

Sworn to and subscribed July, A. D. 1897.

—*****—

Wherefore, plaintiff being without adequate remedy at law, prays equitable relief, as follows:

*First.* That defendant be, pending this bill specially, and on final hearing perpetually, restrained and enjoined from selling or disposing of any of her property or securities, or expending any of her moneys, and from interfering in any manner therewith.

*Second.* That the defendant may be compelled to answer and make discovery, under oath, as to all moneys, certificates of stock, books and papers, and other properties of the plaintiff, of which he obtained possession or control; anl also of all moneys, securities and property of plaintiff entrusted to him, and by him converted to his own use, or otherwise disposed of, together with all income or increment derived therefrom.

*Third.* That an account be stated of all and singular the transactions and dealings between your orator and the said James B. Phillips touching the management and control of her said estate, property, securities and money, and that the defendant be decreed to pay to the plaintiff what shall upon said accounting appear to be due to plaintiff from the defendant.

*Fourth.* That the said deed between your orator and the said James B. Phillips, dated the 4th day of December, 1896, and the said assignment of mortgage, dated the 4th day of December, 1896, and all and every other assignment of stocks, bonds, moneys or securities wrongfully obtained from your orator by said James B. Phillips, without consideration, and in fraud of her said rights, be de-

the key to her private box in the Safe Deposit Company, in which she had valuable jewels and other personal effects, but as to what use or disposition the said James B. Phillips, and others acting in concert with him, have made of the said key and personal property your orator is wholly uninformed. She avers that by reason of these acts of coercion and intimidation and by reason of the systematic deception practiced upon her by the said James B. Phillips, and the removal of all her private papers and effects, and the concealment thereof, she is unable to specify more particularly the description of her property and effects, all of which passed into the possession and control of the said James B. Phillips in the manner aforesaid.

7. Your orator avers that the said James B. Phillips has refused to give your orator any account of her estate or his management thereof, and has refused her access to her books and accounts and private papers, and has also refused to reconvey and reassign or restore unto your orator the property so unlawfully obtained by him in manner described in this bill, and has refused to reassign and deliver to her any of the said mortgages, bonds, stocks, checks, books, money, deeds and other effects of your orator in his hands and under his control; but your orator avers that the said James B. Phillips wrongfully and illegally withholds her said properties; she further alleges that defendant is otherwise indebted to her by reason of his conduct in the management of her affairs, and that unless relief is granted to her she will sustain great and irreparable loss.

sonal property, your orator avers were wholly without consideration, and were procured under duress and through threats against the liberty of your orator and by intimidation.

6th. Your orator further avers that she is the owner of large and valuable tracts of land situate in divers parts of the counties of Jefferson and Clarion, in the State of Pennsylvania, the precise location of which your orator is not able to designate, by reason of the concealment of facts within the knowledge of said James B. Phillips. Your orator avers that part of the said property is located in Madison, Perry and Richmond Townships, in the County of Clarion, and is the same property which W. T. Collner, High Sheriff of Clarion County, sold and conveyed to Charles C. Dickey, Esq., by Sheriff's deed, dated November 26, 1881, and recorded in Clarion County, in Deed Book 31, at page 221, which said properties contain about 1,000 acres of land, and being the same which the said Charles C. Dickey afterwards granted and conveyed to your orator. And your orator was in like manner possessed of large tracts of land in Jefferson County, which had formerly been the property of William Phillips, which your orator holds and owns under and by virtue of a deed from the said Charles C. Dickey, Esq., but your orator had failed to record her title deeds; and your orator further avers that the said James B. Phillips and others acting in concert with him, have unlawfully taken and removed her said title deeds for the lands in question, and have also taken and removed her securities, stocks, bonds, checks, check books and

deposit, she avers that it was in excess of $5,-000.00.

She further was induced, by intimidation and duress, to sign, as she is informed and believes, a deed to defendant, conveying all of her real estate situate in the County of Allegheny, and standing in her name; which deed was so procured on the 4th day of December 1896, and recorded in the office for the recording of deeds, etc., in and for Allegheny County, in Deed Book, volume 957, at page 24.

Your orator has since ascertained that she signed a certain written assignment of all her interest in and to a certain mortgage of Jacob Kaufmann, et al., recorded in the office for the recording of deeds, etc., in and for Allegheny County, in Mortgage Book, volume 589, at page 5, which assignment unto the said James B. Phillips is recorded in the office for the recording of deeds, etc., in and for said county, in Mortgage Book, volume 795, at page 113; and the same was illegally obtained without consideration and by duress as aforesaid.

Your orator further avers that the said James B. Phillips, and others acting in concert with him, intending to cheat and defraud your orator, and deprive her of her property and estate, did secure the transfer unto the said James B. Phillips by your orator, as she is informed and believes, of shares of stock in a building and loan association, shares of stock in the Peoples Savings Bank, Duquesne Traction Company, Monongahela Water Company and Standard Underground Cable Co., all of which transfers, both of real estate and per-

5th. Your orator avers that on or about the 4th day of December, 1896, by reason of the conduct of the said James B. Phillips, and other members of her family, and as a consequence of threats on the part of the said James B. Phillips and other members of the family to deprive your orator of her liberty and to restrain her from exercising the right to control her properties and estate, your orator became sick, nervous and excited, and while under the duress and virtual imprisonment of the said James B. Phillips, the defendant, and other members of your orator's family, and officers and agents in the employ of the said defendant and other parties aforesaid, your orator was induced and compelled to sign and deliver unto the said James B. Phillips certain papers, by which, as she is now informed and believes, she conveyed and assigned unto the said James B. Phillips, without consideration, her entire property and estates, of great value; but she does not know the contents of the various papers obtained from her by fraud and duress as aforesaid, for they were not read to her, and she did not and does not now know the exact nature and effect of the said writings so signed, or how many she was induced to sign.

That said parties acting so unlawfully did procure her signature to a blank check upon the Freehold Bank of Pittsburgh, where her moneys were deposited, whereby the said James B. Phillips was enabled to secure, and did take and secure for himself a large sum of money belonging to your orator, and although she cannot tell exactly the amount on

Phillips as guardian ad litem of your orator; and your orator has just recently learned that the said lands, of large value as aforesaid, were in the said proceedings sold and conveyed unto said James B. Phillips for a mere nominal consideration, and that your orator received no consideration therefor. Your orator avers that the said James B. Phillips did not pay for the said property any adequate consideration, but managed said proceedings for the purpose of defrauding plaintiff. And your orator charges and avers that the said James B. Phillips, well knowing the illegality of the said proceedings, and taking advantage of her confidence and relations to him, and without disclosing or making known to her the reason or purpose or the contents of the deed, did fraudulently procure and induce your orator, without consideration, to make a deed to him for all her right, title and interest in and to the estate and property of Eliza B. Phillips, Deceased, within the limits of the County of Allegheny, which deed was acknowledged on the 26th day of January, 1891, and recorded in the office for the recording of deeds, etc., in and for Allegheny County, in Deed Book, volume 957, at page 24. And your orator avers that she signed, executed and delivered the said deed as aforesaid upon the request and representations of the said James B. Phillips, without knowledge of its purport, and without consideration, but relying wholly and absolutely on the confidential relations and trust reposed in the said James B. Phillips, who had always assumed and pretended to act as her friend, in the management of her estates.

James B. Phillips, intending to cheat and defraud your orator, did not execute and deliver or record a bond or mortgage to her, or in any way secure the plaintiff for the money so advanced, but took advantage of the confidence and trust reposed in him by your orator, who wholly relied upon his representations.

4th. Your orator also avers that Eliza B. Phillips, Deceased, did leave other large and valuable real estate, situate in the Thirtieth Ward, of the City of Pittsburgh, more particularly and at length described in the proceedings in partition in the Court of Common Pleas No. 2 of Allegheny County, at No. 168 April Term, 1884 (see Partition Docket 3, at page 228, No. 51 in partition).

Your orator charges and avers that the said defendant, James B. Phillips, and others of the family, having knowledge of the facts, have always represented and assured her that she held and owned a one-fifth interest in all of the said properties so described in said proceedings, but they sedulously concealed from her the fact that the said property had been partitioned and sold in proceedings at the above number and term. Your orator charges that at the time of the said proceedings she was a minor above the age of 14 years, and as such entitled to choose a guardian; but that the said James B. Phillips, in conjunction with William Phillips, who was acting at the time as one of the executors under the will of the said Eliza B. Phillips, Deceased, gave her no notice of the said proceedings, but assuming to act on her behalf, did procure the Court to appoint the said William

was possessed of plaintiff's fullest and entire confidence, receiving and collecting the rents of her property and estates, and interest and income of her investmetns.

3d. Your orator avers that she was induced by the said defendant on or about the 30th day of April, 1896, to give to him the sum of $13,000.00 in cash, for the purpose of purchasing a certain farm, situate in the Borough of Baden, in the County of Beaver, containing 228.761 acres, together with the gas and oil rights annexed thereto, and the buildings and improvements thereon erected, the said defendant representing to her that the said farm was being purchased at a very low figure. Your orator charges and avers that the said James B. Phillips then and there suggested that he had not the money himself to invest, and by and with the consent of the said plaintiff agreed to take a one-half interest in the said property so to be acquired, and although your orator supplied the whole consideration for the said purchase, and the said defendant did procure a deed for the said property to be duly executed to your orator and the said James B. Phillips jointly, which deed is dated March 5, 1896, and acknowledged March 5, 1896, and duly recorded in the office for the recording of deeds, etc., in and for Beaver County, in the State of Pennsylvania, on April 30, 1896, in Deed Book, volume 154, at page 265; and although the said defendant represented to the plaintiff that he had executed and recorded a mortgage in her favor for $6,500.00, of even date with the said deed, she has since discovered that the said

# IN THE
# Court of Common Pleas No. 2. of Allegheny County Pa.

SITTING IN EQUITY.

October Term, 1897.

*Between*

**ELIZA B. PHILLIPS**, Plaintiff,

*and*

**JAMES B. PHILLIPS**, Defendant.

TO THE HONORABLE, THE JUDGES OF SAID COURT:

Your orator complains and says:

1st. That on and prior to the 4th day of December, 1896, she was, as heir of Eliza B. Phillips, Deceased, Phoebe A. Phillips, Deceased, and William B. Phillips, Deceased, the owner of large and valuable estate and property, consisting of stocks, mortgages, bonds, money and real estate, situate at divers places in the counties of Allegheny, Jefferson, Clarion and Beaver in the State of Pennsylvania, and at Sioux City, in the State of Iowa, to which estate she added by purchase of other valuable property, and as such owner was rightfully entitled to the rents, income and profits thereof.

2d. That for many years prior to the said 4th day of December, 1896, James B. Phillips, the defendant, who is a brother of plaintiff, had, with the consent of plaintiff, been in charge of and managing the interests of estates of plaintiff, and

# خلاصة الاصل الانكليزي

بين

اليزا ب · فيلبس مدعية

و

جامس ب · فيلبس مدعى عليه

الى هيئة المحكمة الموقرة

تعرض مقدمته ما يأتي

اولاً · انها حتى ٤ كانون الاول سنة ١٨٩٦ بصفة وارثه لاليزا فيلبس المتوفاة وفيوب فيلبس متوفاة ووليم فيلبس متوفى كانت مالكة املاكاً وعقارات كثيرة ذات قيمة مؤلفة من اسهم ورهنيات وحصص ونقود وعقار في انحاء مختلفة من كونتيات اليكاني وصفيرسون وكلاريون و بيفر في ولاية بنسلفانيا وفي سوستي من ولاية ايوا وزادت عليها املاك اخرى بطريقة المشترى وهي صاحبة الحق باخذ الاجور والدخل

ثانياً· انه في سنوات عديدة قبل التاريخ المذكور كان جامس فيلبس المدعى عليه وهو شقيقها مستلماً بارادتها جميع مصالحها وادارة

املاكها واعطي حق الوكالة ونال مزيد ثقتها فكان يقبض الاجور ويجمع الرسوم و ياخذ الفائدة على كل اموالها

ثالثاً . ان المدعى عليه اغراها في ٣٠ نيسان سنة ١٨٩٦ على اعطائه ١٣ الف ريال نقداً لمشترى مزرعة معلومة في مقاطعة بادن من ناحية بيغو فيها ٢٢٨٧٦١ فداناً على جميع حقوق الغاز والزيت التابعة لها والبنايات التي تنشأ هناك وكل الاصلاحات وافهمها المدعى عليه ان المزرعة المذكورة تشترى بثمن بخس جداً والمذكور ادعى انه لا يملك مالاً خاصاً يضعه في هذا العمل و برضاها اتفق ان ياخذ نصف حصة في المزرعة المذكورة مع ان مقدمته هي التي دفعت كل ثمن المزرعة وهكذا استصدر المذكور حجة الاملاك المذكورة باسمها واسمه مؤرخة في ٥ اذار سنة ١٨٩٦ ومسجلة رسمياً في ٣٠ نيسان سنة ١٨٩٦ مجلد ١٥٤ صفحة ٢٦٥ ومع ان المدعى عليه زعم انه وضع رهنية باسمها بقيمة ٦٥٠٠ ريال فقد وجدت بعد ذلك ان المذكور انتفاعاً لمزيد ثقتها به لم يفعل ذلك واراد ان يخدعها و يسلبها حقها فلم ياخذ رهنية باسمها ولا صان حقها من الضياع

رابعاً . ان اليزا ب. فيلبس المتوفاة خلفت عقارات اخرى واسعة وثمينة في الناحية الثالثة عشرة من بتسبرغ موضح عنها بتطويل في السجلات وان المدعى عليه جامس فيلبس وغيره من العائلة الذين وقفوا على الحقائق طالما اوضحوا في السجلات المرقومة ولكنهم

كتموا عنها احتيالاً ان تلك الاملاك قد تقسمت وبيعت وانها عند اجراء ذلك كانت قاصرة فوق الرابعة عشرة من عمرها ولها الحق في اختيار وصي جامس فيلبس بالاتفاق مع وليم فيلبس الذي كان احد وكلاء تركة اليزا فيلبس لم يعلماها هذه الاجراآت وانما توليا النيابة عنها من تلقاء ذاتيهما وحصلا من المحكمة على امر لتعيين وليم فيلبس المذكور وكيلاً عنها . وقد علمت مؤخراً ان العقارات المذكورة ذات القيمة الكبيرة نقلت بطريق البيع الى جامس فيلبس مقابل قيمة اسمية فقط . ولم تحصل مقدمته الى شيء مقابل ذلك كما ان جامس فيلبس المذكور لم يدفع ثمناً لتلك الاملاك وانما قام بتلك الاجراآت قصد الاحتيال على المدعية ومع علمه التام بعدم شرعية هذه الاعمال واعتماداً على ثقتها به وقرابتها له وبدون ان يصرح لها بالاسباب او المقاصد من عمله اغرى المدعية احتيالاً وبدون مقابل ان تنقل اليه كل حقها وملكها ومنافعها في املاك وعقارات اليزا فيلبس المتوفاة وسجلت تلك الحجة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٨٩١ وانها وقعت على الحجة المذكورة وسلمتها بناء على ايهام وطلب جامس فيلبس المذكور بدون ان تعلم الغاية والموضوع وبدون مقابل وانما اعتماداً منها على علاقته النسبية وثقتها بجامس المذكور الذي ادعى وجعل نفسه صديقها في ادارة املاكها

خامساً . تعرض مقدمته انه في ٤ كانون اول سنة ١٨٩٦ بناء

على سلوك جامس المذكور وغيره من افراد عائلتها وبناءً على تاثير تهديداتهم لها ان يحرموها من حريتها وان يمنعوها من تولي ادارة املاكها فانها مرضت واضطربت وفيما هي تحت هذا التاثير وبينما هي سجينة فعلاً تحت سلطة جامس المذكور وسائرافراد عائلتها وماموري الخفية والوكلاء الذين استخدمهم جامس واقاربه اذ ذاك ظلموها بل اكرهوها على امضاء اوراق معلومة وتسليمها لجامس المذكور وقد علمت الان انها بتسليم تلك الاوراق قد سلمته كل املاكها وعقاراتها ذات القيمة الكثيرة بدون مقابل ولكنها تجهل محتويات الاوراق المختلفة التي اخذت منها احتيالاً اثناء ضيقها المذكور لانهم لم يقرأوها لها فهي لم تعلم ولا تعلم الان حقيقة معاني ومآل الاوراق والكتابات التي وضعت توقيعها عليها وتجهل عددها وانهم ايضاً حملوها بالاحتيال على وضع توقيعها على حوالة ( على بياض ) الى بنك فريهولد في بطسبرغ حيث كانت اموالها النقدية وهكذا تمكن جامس المذكور من اخذ مبلغ كبير لذاته هو خاص بقدمته ومع انها لا تقدر ان تعين القيمة فانها تزيد على ٥ الاف ريال

ثم انهم اضطروها بالتخويف والحجز الى امضاء حجة للمدعى عليه ناقلة اليه كل عقاراتها الكائنة في اليكاني والموجودة باسمها

ثم علمت فيما بعد انها وضعت توقيعها على نقل كل حصتها في رهنية معلومة باسم جاكوب كوفمان الى جامس المذكور وهذاالنقل

جرى بوجه غير قانوني وبدون مقابل

وان **جامس** المذكور مع اخرين اتفقوا معه قصد خداعها واختلاس املاكها وعقاراتها فنقلوا الى اسم **جامس** المذكور ما خصها من الاسهم والحصص في شركات البنايات والديون واسهم بنك الشعب الاقتصادي وشركة دركوين وشركة مياه موناتكاصيلا وشركة الاسلاك الارضية جميع هذه اخذت منها بدون مقابل وبواسطة الحجز والتهديد والتخويف

سادساً . انها تملك قطعاً من الارض كبيرة وثمينة كائنة في اقسام مختلفة من كونتيات صفيرسون وكلاريون في ولاية بنسلفانيا وهي تجهل مركزها الحقيقي بسبب كتمان ذلك عنها بواسطة **جامس فيلبس** المذكور وقسم من هذه الاملاك كائن في مارلتيون وبارسيه وريتشموند في كلاريون وهي ذات الاملاك التي باعها كولرحاكم كلاريون من **شارل ريكي** في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٨٨١ وفيها الف فدان وهي ذات الارض التي عاد شارل ريكي فارجعها اليها . ثم انها ايضاً كانت مالكة لقطع من الارض في صفيرسون وكانت قبلاً ملك **وليم فيلبس** ومقدمته تملكها بموجب حجة من **شارل ريكي** المذكور ولكنها لم تسجل ملكيتها وان **جامس فيلبس** وسواه من المتفقين معه اخذوا منها بطريقة غير شرعية حجج الاراضي المذكورة وايضاً ضمانات واسهم وحصص وحوالات ودفاتر حوالات

ومفتاح صندوقها الخصوصي في شركة التامين وكان لديها في الصندوق المذكور جواهر ذات قيمة واشياء خصوصية وهي تجهل ما فعل جامس ورفاقه بكل ذلك وانها بسبب هذا الاكراه والتخويف والاحتيال المرتب من قبل جامس فيلبس ونقلهم كل اوراقها واخفائها فهي غير قادرة على تعيين املاكها بزيادة ايضاح وتخصيص لان كل ذلك انتقل الى ملكية جامس فيلبس بالطريقة السابق ذكرها

سابعاً . ان جامس المذكور رفض ان يقدم لها حساباً عن املاكها وادارته لها ومنعها من الاطلاع على دفاترها وحساباتها واوراقها الخصوصية ورفض ان يعيد اليها تلك الاملاك التي اخذت منها بالطرق الاحتيالية الموضحة وابى ان يرجع اليها حصصها واسهمها ورهنياتها وحوالاتها ودراهمها وسائر ما كان تحت ادارته مما هو خاص بها وانه مسئول اعتداء وجوراً على املاكها وانه مديون لها بسلوكه في ادارة مصالحها واذا لم يعاد حقها اليها تصاب بخسائر لا تعوّض ولما كانت مقدمته محرومة من طريقة قانونية لاصلاح ما جرى لها فهي ترجو

اولاً . منع المدعى عليه في غضون سير هذه الدعوى وما يليها من النظر النهائي عن بيع شيء من املاكها وضماناتها والتصرف فيها او انفاق شيء من مالها وعن كل مداخلة

ثانياً . ان يجبر المدعى عليه على المجاوبة تحت اليمين واستحضار

جميع الاموال واوراق الحصص والدفاتر والاوراق وسائر خصوصيات المدعية التي كان قد استولى عليها وكذلك النقود وضمانات الاملاك التي سلمتها اليه وحولها بذاته لذاته وتصرّف بها مع تقديم حساب عن كل مدخولها

ثالثاً . ان يقدم حساباً عن جميع المعاملات بينها وبينه في ادارته مصالحها واملاكها ونقودها وان يدفع لها ما يتقرّر انه مديون لها به

رابعاً . ان يحكم بالغاء الحجة بينها وبينه المؤرخة في ٤ كانون اوّل ١٨٩٦ والرهنية بذات التاريخ وسائر الاوراق والاسهم والحصص والاموال التي اخذت منها احتيالاً وبدون مقابل . وان يؤمر المذكور بتسليمها لالغائها وان يعيد اليها كل املاكها المذكورة الماخوذة منها بدون مقابل

خامساً . ان تعطى مقدمته جميع التعويض الذي تراه المحكمة الموقرة واجباً عن المدعية

**ا . م وجون د . برون**

انا **اليزا ب . فيلبس** المدعية بعد اخذ اليمين حسب القانون اقول ان كل الحقائق الواردة في العريضة المتقدمة صحيحة بموجب اعتقادي تموز سنة ١٨٩٧ **اليزا ب . فيلبس**

وكانت **اليصابات** تغتنم الفرص وتحتال للخروج من منزل **سكوت** لمقابلة **اسبيريدون** بدعوى الذهاب الى خياطة في الجانب الجنوبي

من المدينة وهذا ما كتبته اليه

عزيزي **اسبيريدون**

**لا** يعلم احد خبر اجتماعي بك عند الخياطة فاكتمه او يمنعوني واخشى انهم يراقبون حركاتي لانني لما كنتُ ذاهبة يوم السبت رأيت البوليس موسي لحيالي اما انا فوبخته وقلت له — قل لجامس ان يكون على حذر فانه اذا واصل اضطهادي يؤدي الامر به وبكم الى ما لا تشكرون فانني الان حرة ولديَّ محام يرى في مصالحي ويحميني

ثم اخبرك ايها العزيز ان المحامي **برون** قد دهش كثيرًا لسوء معاملة اخوتي لي وقد قال جامس امس انه لا يتركني « حتى الثم التراب امامه »

وتناولت جرائد بتسبرغ هذه الدعوى فقالت التيمس في ٢٩ تموز سنة ١٨٩٧ « انها دعوى بين افراد عائلة من اخص العائلات عندنا ولها علاقة بحادثة الحبس الاحتيالي الذي اوردنا تفاصيله في جريدتنا في كانون الاول الماضي »

وعلى اثر تصدير الدعوى ردَّ جامس بواسطة المحامين عنه ما تتهمه به اخته وبقيت القضية بين ايدي القضاة وسناتي على ذكر حكمهم في محله ووقته

وهذه ترجمة تحرير ورد من اليصابات الى خطيبها في هذه المدة

بتسبرغ في ٢٢ تموز سنة ١٨٩٧

عزيزي **اسبيريدون**

اخبرتك في تحريري الماضي انني رفعتُ دعوى على جامس وانه الان في الغرب وقد ورد منه كتاب انه بعود يوم السبت لرد دعواي وارى الاوفق ان لا تأتي الى المدينة هذا الشهر لانني لو اخبرتك تفاصيل ما فعلته معي عائلتي لتعجبتَ . فقد حجزوا حرّيتي وجعلوني اسيرة اما انا فاغفر لهم ولكن لن اصادقهم فيما بعد اذ لم اعرف حقيتهم الى الان . اعذرني لاستعمال هذه الورقة الحقيرة الغير النظيفة ولكن هذا كل ما وصلت اليه يدي . وانا لا اعلم كيف ارسل هذا التحرير اليك ولا كيف اوصله الى الصندوق . الى اين وصلتَ في دعواك ارجوك تاخيرها الى وقت آخر . انني اتمم كتابة هذا التحرير في غرفة الحمام فرارًا من مراقبتهم واسلم «للتي تحبك»



## ❋ الفصل الرابع والعشرون ❋

### حكم المحكمة لاليصابات · استرجاع املاكها

بعد مضي مدة من الزمان قضتها **اليصابات** في شقاء وعذاب مقيمة في منزل **سكوت** صدر حكم المحكمة لصالحها في دعواها على اخيها فنشرت جريدة **الديسباتش** ما نصه

« حكم امس في محكمة الدرجة الاولى في دعوى **اليصابات فيلبس** على **جامس فيلبس** ان تردّ الاملاك اليها وحكمت المحكمة ايضاً ان المدعية فيها الكفاءة التامة لتولي ادارة املاكها ومصالحها ولا تحتاج الى وكيل او وصي »

وكانت الاملاك والمصالح قد نقلت من يد اخيها الى وصاية المستر **برون** المحامي عنها فقررت المحاكم ان يسلم المحامي كل ذلك الى **اليصابات**

ورأت الفتاة انها صارت الان حرة في املاكها ولكن بقي لها لدى المحامي بعض حجج واوراق فخشيت ان تقوم بعقد الزواج علناً فيتأخر بسعي اخوتها عن تسليم ما هو خاص بها ويوجب لها قلقاً فقابلت **اسبيريدون** واخبرته انها مستعدة للزواج شرط ان يكون سرّيًا في الوقت الحاضر وكان **اسبيريدون** قد اتخذ غرفة حسنة في منزل قوم كرام في جانب ممتاز من المدينة وكان يجتمع فيه بالفتاة من حين الى آخر فلا يدري بهما احد من اعدائهما

## ﴿ الفصل الخامس والعشرون ﴾

## الزواج السري . وكيف كان

اتفق **اسبيريدون** و**اليصابات** على عقد الزواج سرًّا وعينا لذلك ١٧ اذار سنة ١٨٩٨ وان يكون الاكليل في الغرفة التي استاجرها الشاب والتي كانا يجتمعان فيها ففي اليوم المعين خرجت **اليصابات** من منزل **سكوت**

فقالت مسز **سكوت**

— الى اين

— انا ذاهبة لمشترى بعض الملابس

وظلت سائرة حتى وصلت الى المكان المعين وكان ينتظرها هناك **اسبيريدون** و**جون فيكلينر** و**هنريت لويز فيكلينر** وهما شاهدي الاكليل والكاهن **ريوف** .

واذ ذاك ذهب **اسبيريدون** الى المحكمة في **بتسبرغ** لاستحضار رخصة لعقد الزواج لان قانون هذه البلاد لا يسمح لاي كاهن ان يعقد الزواج الديني الا بعد ان يرى الرخصة المدنية . ولكن **اسبيريدون** وجد صعوبة عظيمة في سبيله لانه اراد اخذ الرخصة سرًّا وسأل كاتب المحكمة ان يكتم امرها عن كتاب الجرائد فحاول

الكاتب ان يجيب طلبه ولكن لما ذكر الامر لرئيسه غضب واستاء وقال انه لا يوافق على ذلك اولاً ثم هو لا يعطي اسبيريدون جدا رخصة زواج بالآنسة اليصابات فيلبس ذلك لان اخوتها كانوا يعرفونه وقد نبهوه الى حصول ما حصل الان وسالوه منعه ففعل

فعاد اسبيريدون الى عروسه واخبرها بما كان ولم يشأ تاخير الزواج الى يوم آخر فعمد الى طريقة اخرى وسالهم ان ينتظروه قليلاً ثم اسرع فركب القطار الى بيفركونتي التي تبعد مسافة ٢٠ ميلاً وهناك اخذ من محكمتها رخصة الزواج الرسمية وسأل الكاتب كتمانها عن اصحاب الجرائد «وشاف خاطره» فاجاب الى ذلك وهكذا عاد الشاب ظافراً فلما وصل الى الغرفة وقدّم الرخصة قام الكاهن بعقد الزواج الرسمي بشهادة الشهود كما ترى في صورة ورقة الزواج وهنأها الشهود والكاهن واذ ذاك عادت اليصابات الى منزل سكوت كانها لم تقم بذلك العمل الخطير ولم تظهر عليها دلائله لانها كتمت الامر بل اخفت خاتم الزواج. وكان في وسعها الانضمام الى زوجها بعد الاكليل ولكن الحكمة اقتضت الصبر اياماً ريثما تنهي كل علاقاتها مع محاميها فتكون ولية امرها

وبعد مضي ٥ ايام تقابلا سرّاً وكانت قد انجزت اشغالها فاتفقا على الاجتماع والسفر واعلان زواجها في اليوم الاول من شهر نيسان وعلى هذا الامل عادت اليصابات الى منزل سكوت

وكان اذا ذكروا اسبيريدون على مسمع منها تدافع عنه دفاعاً شريفاً فلم يبالوا كثيراً بميلها اذ كانوا على ثقة من عدم اجتماعها به بل كانوا يظنون ان الشاب قد سافر من المدينة اذ لم يقفوا له على اثر من زمان .

ولكن لما اصبح الصباح بعد حفلة الاكليل اذا بالتليفون يدق دقاً عنيفاً فاسرعت مسز سكوت اليه واذا بوالدها وليم شقيق اليصابات يقول

— اين اليصابات

— هي هنا

— هل انتِ على يقين من وجودها

— كيف لا وهي معي الان

— هل بلغكِ

— ماذا

— حضر جحا الى المحكمة لاخذ رخصة زواج فلم يتمكن من ذلك فسليها هل جرى شيء

فطمنت والدها بعدم حدوث شيء . ثم انها لما اجتمعت وزوجها باليصابات حاولا الهزء بها فقالت مسز سكوت

— مبارك ايتها العزيزة

— وماذا تباركين

— زواجكِ من جحا فانه ذهب امس للحصول على رخصة للزواج

— ولكن جحا ليس في المدينة وانت تعلمين انني لا اراه بل كيف اقدر ان اراه وهو غير موجود هنا

فقال سكوت انه جاهل سعى وراء الحصول على الرخصة فلم يفلح وما هذا حال الذين يحبون

— لعله طلب رخصة لتزف اليه ابنة اخرى فهو غير مضطر الى الارتباط بي والبنات كثيرات

فقالت مسز سكوت ضاحكة

— لماذا لم تخبرينا انكِ تنوين الزواج امس حتى نهيء لكِ طعام العرس بل كيف تزوجتِ بملابسكِ العادية واين الاكاليل الجميل والثوب الابيض وحرام عليكِ ان لا اكون معكِ

وقال سكوت

— ما هذا العرس يا اليصابات انه عرس فقراء وانتِ غنية

اما اليصابات فانها كانت تحتمل كل هذه الملاحظات هازلة ضاحكة كان لم يحدث حادث






 مثال رخصة الزواج حسب الطقس الاميركي

## ﴿ الفصل السادس والعشرون ﴾

### ختام المصاعب · اجتماعهما · سفرهما · شهر العسل

لما كان صباح اول نيسان اذا بمسز سكوت قد لبست افضل ملابسها فدخلت على اليصابات وقالت

— البسي ثيابكِ يا اليصابات وعجلي

— ولماذا والى اين

— اريد الذهاب الى المدينة لمشترى بعض حاجات

— لا ارى بي ميلاً الى الخروج اليوم

— يا لكِ من كسلانة · فانا ارجوكِ ان تذهبي معي

— يسوءني ان لا اجيب طلبكِ

— ولكن قد هيأتُ نفسي واكره ان اذهب وحدي

— اذا انتظرتِ الى الساعة الرابعة اذهب

— ولماذا تلك الساعة دون سواها

— لغرض في نفسي

— اذا كان لا سبيل الى اقناعكِ فاني انتظر

* * * * * * * * *

كان اسبيريدون قد لبس ثياب السفر واوصى شركة عربات

مشهورة ان تحضر له افضل عربة من الطبقة العليا في ساعة معلومة فلما كانت الساعة جاء العربة الجميلة يجرها زوج من جياد الخيل التي لا براها الناس الا لدى الاعيان يسوقها سائق حسن اللباس والترتيب فدخلها **اسبيريدون** وقد وضع امامه باقة من الزهر ثمنها كثير وجمالها عظيم واوعز الى السائق ان يسير الى عنوان معلوم

*********

اما ما جرى في منزل **سكوت** فان مسز **سكوت** جاءت الى عمتها بعد الظهر فوجدتها في الغرفة وقد لبست ثيابها وتهيأت للخروج فقالت **اليصابات**

— متى تحضرين

— على مهل الان فالنهار طويل

— بل يجب ان تحضري حالاً او **لا** انتظركِ

— قد انتظرتكِ كل الصباح فانتظريني الان

واطلت من النافذة ضاحكة ثم اجفلت وقالت

— من هذا

— واين

— انظري هوذا عربة جميلة قادمة واظن ان جدتي مسز **فرنش** قادمة لزيارتي · ياليتها اختارت غير هذه الساعة فانني قررت الذهاب الى المدينة واكره ان اتأخر · · ·



اليصابات ججي سنة ١٩٠٤

ثم امعنت النظر وقالت

— قد وقفت العربة امام باب الحديقة . ولكن ليست خيولها جياد العربة التي لجدتي فمن هو الزائر ياترى

وكانت اليصابات صامتة كل ذلك الحين لانها علمت ان القادم هو زوجها . ثم ان مسز سكوت رجعت عن النافذة مذعورة وصاحت صيحة الدهشة والغضب

— ماذا ارى ؟ هذا ججا قد ترجّل من العربة يحمل باقة من الزهر . وهو آتٍ الى الباب ترى ما الذي جاء به الينا . وماذا يريد . وكيف تجاسر ان ياتي

اذ ذاك مدّت اليصابات يدها اليسرى الى ابنة اخيها واظهرت خاتم الزواج ولم تتكلم

فلما رأت مسز سكوت الخاتم في يد عمتها ظهرت لها الحقيقة فصاحت

— يا لكِ من ذكية . لقد خدعتنا بذكاء . فاسمحي لي وقد قضيَ الامر ان اهنئكِ وسيري بنا لنقابله

اما اسبيريدون فانه قرع الجرس وللحال فتحت الخادمة الباب فقال

— هل مسز ججا هنا

فتحيرت الخادمة بماذا تجيب وكانت اليصابات قد اطلعتها على

سرها لانها هي التي ادخلتها في الخدمة فاحمر وجه الفتاة وفتحت الباب فدخل **اسبيريدون** وقابل **اليصابات** ومسز **سكوت** فقالت هذه

— قد اتفقتما على خديعتي وتم لكما النجاح

قال **اسبيريدون**

— فعلنا ذلك عن اضطرار وهذه الزهور تشفع بي اقدمها هدية لكِ

فضحكت واعتذرت عما كان قد فرط منها من المعارضة. ثم ان **اسبيريدون واليصابات** ودّعاها وركبا العربة وسارا الى المحطة فركبا القطار الى لانكستون وما جاورها فقضيا ٣ ايام في مدن صغيرة حتى وصلا الى مدينة كليفلاند اوهايو



## ﴿ الفصل السابع والعشرون ﴾

### اقوال الجرائد الاميركية

جريدة كليفلاند بلاين ديلار

في ٨ نيسان سنة ١٨٩٨

« نزل **اسبيريدون جحا** السوري في لوكاندة ستيلمان الفخيمة من هذه المدينة ومعه عروسه التي كانت الآنسة **اليصابات فيلبس** من اعرق عائلات بتسبرغ في الشرف والمكانة ولها ثروة مائة الف ريال وقد صرّحت العروس بذلك لكنها اظهرت كدرها من كثرة اهتمام الجرائد باخبارها وحوادثها الخصوصية وقد نزلا في انخم قسم من نزل ستيلمان والمستر جحا في كل مظاهره كامل في ثوب اسود رسمي وربطة بيضاء يلمع منها حجر كريم واما العروس فكانت في ثوب ازرق وعلى راسها برنيطة ثمينة من الزي الاخير »

وفي تلغراف خصوصي من كليفلاند الى جريدة بتسبرغ بوست بتاريخ ٥ نيسان

سُئلت مسز جحا اذا كانت قد كتبت الى اخيها القبطان **جامس فيلبس** المقيم الان في كولورادو فاجابت بجدّة « لا لم افعل » والطبقة العالية في المدينة كثيرة التحدث بهذا الحادث

وفي جريدة كليفلاند .

وصل الى افخم فندق في هذه المدينة المستر اسبيريدون جحا السوري وعروسه التي هي كريمة اسرة لها المقام الارفع بين الطبقة العليا في بتسبرغ وكان زواجها سرًّا فلما اشتهر موءخرًّا اصيبت الطبقة العليا في بطرسبرج بمثل زلزال فجائي

وفي جريدة بتسبرغ ديسباتش ما خلاصته

فاز اسبيريدون جحا السوري اخيرًا فعقد له على الانسة اليصابات فيلبس من عائلات بتسبرغ الممتازة وهكذا ختم الفصل الاخير من اعظم رواية حبية · وقد سار العاشق المنتصر بعروسه الى حيث لم يعلم احد حتى الان مقرّها · ونظرًا للحوادث المدهشة المتعددة في هذه الحادثة الغرامية فان انتهائها بالزواج المقدس سيكون بمثابة انفجار قنبلة بين الطبقات العليا من العائلات · وسيدهشهم خبر الزواج اذ كان المفهوم حتى الان بين العموم ان الفتاة تركت الشاب ونزعت هواه من فوءادها · ولكن جحا ضحك عليهم وفاز فقد حسبوه خارج المدينة ولكنه في الحقيقة كان يتمم مقاصده بكتمان وذكاء الى ان قالت

وهذه الحادثة ذات فصول متعددة ومع ان شقيق زوجته تهدده بالقتل اذا لم ينقطع عنها فان الرجل لم يحفل بالوعيد وخاطر بحياته شأن المحب الصادق · ولا غرو فانه يسعى وراء احراز قلب



21

اسبيريدون جحى سنة ١٩٠٤

امرأة يحبها وتحبه . وقد صرّح مرارًا ان الموت افضل من ان يعيش بعيدًا عنها . واحرز النصر في جهاده هذا بثبات جاشه وقوة قلبه لا غير فتمكن الان من اخذ عروسه الى حيث لا يلحقهما اذى ولا معارض . اما العروس فسمراء ذات جمال جذاب . وغريب ايضًا ان السوري اشقر اللون ازرق العينين و يعدّ في طبقة من الجمال

تحرير من الانسة اني كوزراد رئيسة مدرسة الاحد في بتسبرغ

الى المستر والمسز جحا

دهشت كثيرًا لما اخبروني في الكنيسة يوم الاحد عن زواجكما وانكما تقضيان شهر العسل وفي اليوم الثاني قرأت بجريدة اللذة حقلاً ونصف حقل في الديسباتش عنكما . وقد كنت اعلم انكما تتزوجان يومًا ما ولكن المستر جحا لم يخبرني عن اليوم المعين لان ادبه الغزير يمنعه من اكثار الحديث عن خصوصياته وشهامته تمنعه عن التحدث باسم سيدة في كل وقت . فارجوكما قبول تهانيّ القلبية ودعائي الاكيد

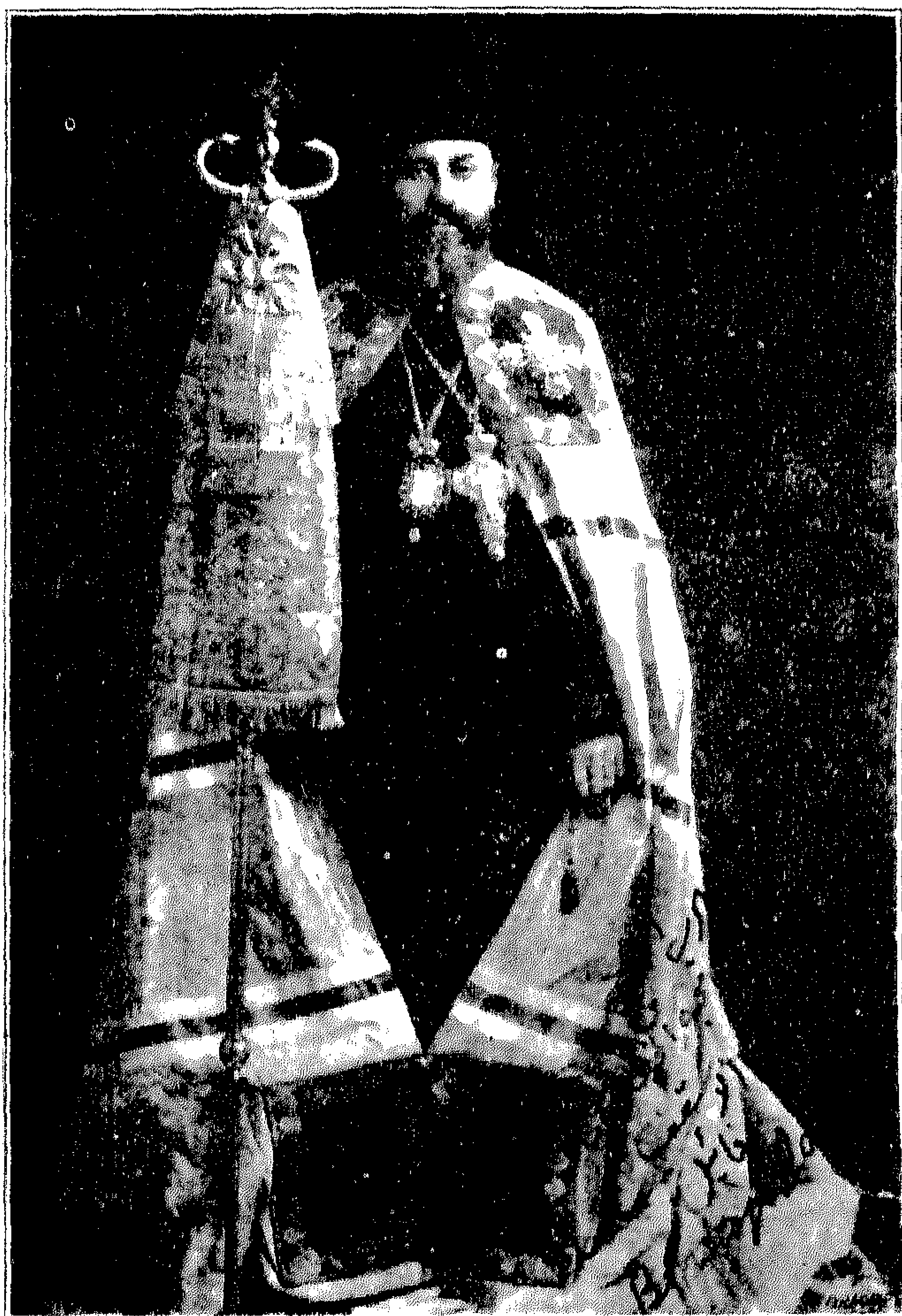
## ﴿ الفصل الثامن والعشرون ﴾

## في نيويورك · العروس تعتنق المذهب الارثوذكسي
## اكليل ارثوذكسي

لما سكنت الاحوال وراقت الحياة للعروسين وتخلصا من اضطهادات الاعداء سافرا الى نيويورك وهناك نزلا في فندق والدورف الشهير واقاما نحو الشهرين يزورها الاصدقاء والاخوان ويتمتعان بمناظر نيويورك ومحاسنها ورأت قرينة **اسبيريدون** الطبقة الفضلى من السوريين ومنزلة زوجها فتحققت انها انضمت الى رجل معتبر بين قوم كرام · وكانت جريدة كوكب اميركا قد نشرت في ٨ نيسان سنة ١٨٩٨ الرسالة الاتية

### ﴿ زفاف سعيد ﴾

زفت سرًّا الانسة **اليصابات فيلبس** كريمة احد وجهاء مدينة بتسبرغ الى الشيخ **اسبيريدون جحا** في ١٧ اذار انما العروس اعانت لاقربائها عقد الزواج نهار الخميس الماضي · وطالما بذل ذوو قرباها قصارى جهدهم لالقاء النفرة والشقاق بين المتحابين ولكن ذهبت اتعابهم سدًى · وقد وافقت بعلها على الرحيل ردحًا من الزمن ريثما تكف السنة العزال واللائمين · والانسة المذكورة من المتمولات



٢٢

نيافة الاسقف السيد رفائيل هواويني

وذات ثروة تبلغ قيمتها ماية الف ريال · ومع كل العقبات والعراقيل التي اقيمت في سبيلها لم يثنها شيء من نيل الاماني وطالما تهدد اقرباء السيدة اليصابات الشيخ اسبيريدون بالقتل والسجن اما هو فلم يبالِ بوعيدهم · وكانوا كمن يكتب على صفحات الماء · وقد اظهر من ثبات الجنان والشهامة والمروءة والاقدام ما يحمل ابناء الوطن على الافتخار به · وكأن لسان حال العروس يقول

فكن واثقاً مني بحسن مودةٍ * وعش ناعماً في غبطةٍ غير جازعِ

وانا نهنىء العروسين بهذا القران السعيد ونتمنى لهما الرفاه والبنين

ثم ان السيدة اليصابات لما كانت تحب زوجها وتميل الى جنسيته وقد احبت كل ما يحبه فانهما عند وصولها الى نيويورك زارها نيافة المطران رفائيل اذ كان يومئذٍ سيادة الارشمندريت المشهور بادبه وسمو مباديه فطلبت اليصابات من سيادته ان يقبلها في عداد ابناء الكنيسة الارثوذكسية لانها تريد اتباع زوجها في كل امياله فرحب بها سيادته وعمدها في الكنيسة الارثوذكسية ثم عقد لها على زوجها عقداً ثانياً على الطريقة الكنسية الارثوذكسية

وهذا ما ورد في كوكب اميركا في ٣١ ايار سنة ١٨٩٨

" كتبنا سابقاً خلاصة ما حدث لحضرة وطنينا الوجيه الماجد الشيخ اسبيريدون جحا مع اشقاء وانسباء قرينته صاحبة العفاف السيدة اليزا جحا وهي يومئذٍ الانسة اليزا ب جحا التي زفت اليه

في الكنيسة الاسقفية الابيسكوبالية ونذكر الان عن قدوم العروسين هذه المدينة ليقيما فيها . ومما يسرّ العموم ان هذه السيدة الاديبة احبت ان تظهر لزوجها ما له في فوءادها من المحبة والاعتبار فاعتنقت المذهب الارثوذكسي وطلبت من سيادة الاب الفاضل الارشمندريت رفائيل رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الولايات المتحدة ان يعمدها ويكللها حسب الطقس الشرقي فقام حضرته بذلك بحضور الشاهدين وهما جناب وطنينا الاديب الخواجا نقولا عبد الله والسيدة ماري عقيلة الخواجا سليم هواويني شقيق سيادة الاب المشار اليه . وقد عجبنا من اخوة العروس وهم من مشاهير بتسبرغ وافراد اسرها المعروفة كيف انهم اساءوا الظن في حضرة الشيخ اسبيريدون فظنوه من عامة الناس ولم يصدقوا انه من اصل طاب عنصره واسرة كريمة وبيت عريق في الشرف والوجاهة وهو كريم النبعتين شريف المبادي عنبري السمعة ومن العجيب ان هوءلاء القوم ينكرون عليه كل هذه الصفات الحميدة التي ورثها عن الجدود والآباء وقد ملأوا جرائد بتسبرغ طعنًا عليه فلم يسعنا السكوت عن خدمة الحقيقة . وحبذا لو علم مقاومو وطنينا المشار اليه ان الاغتراب لا يفقد المرء مزاياه . اوائك هم اجداد وآباء وطنينا الشيخ اسبيريدون قد خدموا البلاد السورية وحكومتها خدمة صادقة واشتهروا بالشهامة والامانة وقاموا بحقوق الوظائف التي تولوا

*Raphael*
*Bishop of Brooklyn.*
AND HEAD OF
The Syrian Greek-Orthodox Mission
in North America.

320 PACIFIC STREET,



رفائيل
اسقف بروكلن
ورئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في اميركا
الشمالية

٣٢٠ شارع باسيفيك — بروكلن نيويورك

*Brooklyn N. Y.* ١٣ شباط ١٩٠٤ / ٢٦ 1904

مقيد سنة ١٨٩٨ — شهادة معمودية — عدد ٥

في اليوم السابع من شهر أيار سنة ١٨٩٨ صباحاً شرقياً قد تمت عمادة اليصابات ابنة روبرت
فيليبس الاميركية المولودة في مدينة بتسبرغ بنسلفانيا من اعمال الولايات المتحدة الاميركية في خامس
شهر أيار سنة ١٨٧٠ بموجب طقس الكنيسة القديمة الرأي الارثوذكسية في مدينة نيويورك العظمى
على يد رئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية الارشمندريت رفائيل هواويني .
وذلك بموجب طلب المعتمدة نفسها واعترافها العلني بانها لا تعرف ذاتها اذا كانت معتمدة او لا سابقاً .
وقد كان عرابها نقولا عبدالله من اميون الكورة في لبنان وعرابتها الست امرأة سليم هواويني من
دمشق بحضور حضرة الشيخ اسبيريدون جبور من بشمزين الكورة في لبنان . وللبيان أعطيت هذه
الشهادة لسيادتها ممضاة منا ومختومة بختمنا وختم الكنيسة

رفائيل
اسقف بروكلن







23

شهادة العمادة

ادارتها فاصبح اسم آل جخا الكرام في انحاء سوريا اشهر من نار على علم . ونحن نكتب هذه الاسطر مرددين التهاني للعروسين الكريمين سائلين لهما الهناء والصفاء وارغد العيش

وقد اطلعنا على قصيدة من نظم شاعر اديب يهنيء بها حضرة الشيخ وهي رقيقة العبارة كلها درر وغرر فاقتطفنا منها ما يأتي »

انتهى ما ورد في الكوكب ولم نورد ما اوردته الجريدة من القصيدة لانها سترد كاملة في فصل آخر

—*****—

## ﴿ الفصل التاسع والعشرون ﴾

### بعد الزواج

يعلم القاري من الفصول الاولى في هذا الكتاب ان هذا الزواج بين اسبيريدون جحا واليصابات فيلبس كان سعيدًا وانه لا يزال مكالاً بالخير والتوفيق ولا تزال المحبة الصحيحة باسطة سرادقها عليهما وهكذا بدأت من اول يوم قرانهما وكلل الله حياتهما بالهناء والسعادة ورزقا الاولاد وقد هنأهما بعض الاصدقاء بزواجهما فمن ذلك قصيدة لجناب الشاعر المطبوع العصري اسعد افندي رستم وقد طبعت في كوكب اميركا في ذلك الحين قال

من جدودٍ له ومن آباء ✲ شرفٌ قد علا على الجوزاء
بجدودٍ باهى البنون فاضحت ✲ تتباهى الجدود بالابناء
ان من كان مثل اسبردونٍ ✲ لحريٌّ بالمدح والاطراء
رجل قد اطلقت فيه مدى المد ✲ ح فلم القَ فيه قيد اكتفاء
جامعٌ من مروءةٍ من وفاء ✲ من نهى من مكارم من سخاء
لو قصدنا المديح فيه لأعيت ✲ بثناه قرائح الشعراء
ايها الفاضل الذي نال ما قد ✲ نال رغم الحساد والاعداء
عش سعيدًا واهنأ بخير زفاف ✲ وبذات العفاف ذات البهاء

ذات قدر سام وذات جمال * اين من حسنها بدور السماء

انت ياصاح في الرجال فريد * وهي حقاً فريدة في النساء

حال دون المنى موانع شتى * من اهالي العروس والاقرباء

حال دون اللقاء كل عناء * وبطيب اللقاء بعض العناء

قرّ عيناً وطب بما نلت نفساً * وارفل الدهر بالهنا والرخاء

دم وسد وارق واسمُ واسلم بعزٍ * انت اهل السمو والارتقاء

فرجائي لكم صفاء وخيرٍ * ودعائي لكم بطول البقاء

ولما ولد لهما ولدهما البكر الذي سمي فريداً هنأهما حضرته بما ياتي

لازال يخدمك الزمان وينعم الـ * ـمولى عليك بما تشا وتريدُ

ولسان حالي يا صديق مؤرخاً * فليحيَ ولينمُ الصغير فريدُ

٢٩٤ ١٣٣١ ٣٦ ١٣٨

١٨٩٩

—*✻*—

ومن ذلك قصيدة ارسلها جناب الخواجا زخور مفرج من تجار السور بين المعروفين في سياتل واشنطون قال

خبرٌ اقترانك في البرية قد سرى

فازدان مشتركاً بفرحتك الورى

يا من حويت من المحاسن آيةً

منطوقها سبحان ربك من برا

وجمعتَ اصناف المحامد كافةً
يا فرع اصلٍ جاء منه فاثمرا
من نسل امجادٍ وخير سلالة
من صلب ذي الشرف الاثيل تحدّرا
لا بدع ان علقت بك الحسناء هل
وجدت سواك لها مثيلاً اجدرا
كلاً فانك اهلها وهي التي
اهل لك اختارتك مثلاك لم ترَ
شهمًا تجلبب بالمفاخر امثلاً
حسنًا وفي حسن الصفات تزرّرا
انوار وجهك نبهتها فاهتدت
لكنوز قلبك حيث لاقت جوهرا
فاستقبلته بمثله مما بها
فتوافق الاثنان ثم تآزرا
قلبان في جسمين قلبٌ واحدٌ
جسمان للقلبين جسماً قُدّرا
ربطت كلا الزوجين رابطة الهوى
ومحبةٌ للموت ماكنة العرى
كم حاول الاخصام هدم عمادها

*Raphael*
*Bishop of Brooklyn,*
AND HEAD OF
**The Syrian Greek-Orthodox Mission in North America.**

**320 PACIFIC STREET,**



رفائيل
اسقف بروكلن
ورئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية

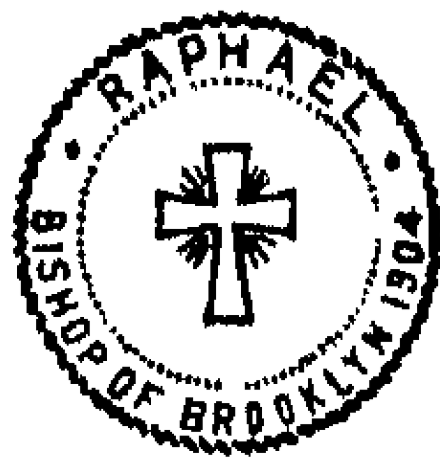
٣٢٠ شارع باسيفك = بروكلن نيويورك

*Brooklyn N. Y.* 1904

سجلّ سنة ١٨٩٨ — شهادة اكليل — نمرو ٧

في اليوم السابع من شهر آب سنة ١٨٩٨ صباحاً شرقياً قد تمّ اكليل اليصابات ابنة روبرت
فيليبس الاميركية الجنس والابيسكوبالية المذهب المتحدة بالكنيسة الارثوذكسية والبالغة الثامنة وعشرين
سنة من العمر والعذراء على الشيخ اسبيريدون ابن الشيخ حنا نعمه جحى السوري من بشمزين الكورة في لبنان
الارثوذكسي المذهب والبالغ السنة الثلاثين من العمر والأعزب. وذلك في مدينة نيويورك العظمى على يد
رئيس الرسالة الروحية السورية الارثوذكسية في اميركا الشمالية الارشمندريت رفائيل هواويني. والاشابين كانوا نقولا
عبدالله من اميون الكورة في لبنان ومريم امرأة سليم هواويني من دمشق. وللبيان أعطيت هذه الشهادة مصادقة
بامضائنا ومختومة بختمنا وختم الكنيسة

رفائيل
اسقف بروكلن









شهادة الاكليل

عمدًا وهل نالوا مناهم يا ترى
كلاً فقد رجعوا ومعهم كيدهم
يتعثرون به رجوع القهقرى
غير الوفا والصدق في عهد الولا
ما ردّهم متقهقرين الى الورا
انت الذي اوفيت وعدك صادقًا
وهي التي اوفت وما قالت جرى
بنت الاكارم شابهتك سلالةً
وسريرةً ومثيلةٌ لك عنصرا
من نسل اشرافٍ واهل سراوةٍ
جاءت وللعلياء قد جدوا السرى
بيت على اس الفخار توطدت
اركانه بالمجد شيد وعُمّرا
هذي لقد زفت اليك حليلةً
فاهنأ وعش في حسن حال ادهرا
ادعو لك الصفو السعيد مدى المدى
معها ولا تلقى اصفوك عاكرا

—*❋*—

ولما كانت العروس الاميركية تحب زوجها حباً صحيحاً فقد احبت وطنه وابناءه وشعرت بميل عظيم الى ذويه فبادرت الى كتابة تحرير الى والده عمها الشيخ حنا جحا في لبنان كتبته اولاً باللغة الانكليزية ثم كلفت زوجها ان يترجمه فبعد ان ترجمه وكتبه بخط عربي واضح عمدت هذه السيدة الفاضلة الى نسخه بخط يدها مصوّرة الحروف والكلمات تصويراً وهذا نص الكتاب

سيدي العم الشيخ حنا جحا المحترم وعائلته الموقرة ادام الله بقاهم

اشكر الهي الذي هوّن عليّ تلك الصعوبات التي كانت تتهددني عند ما عزمت ان اجعل لحبكم الطاهر اكبر نصيب في قلبي وذلك قد اتضح لكم منذ عامين تقريباً

فالان والحمد لله قد فزتُ وانتصرتُ بانتقائي عزيزي ولدكم الشيخ اسبيريدون رفيقاً اميناً لحياتي فعليه ارجوكم ان تتاكدوا انني احافظ دائماً على تعزيز تلك العهود المقدسة التي سهلت لي التشرف باعلان وقاري الزائد لحضرتكم وتقبيل ايديكم وان شاء الله سنغتنم اول فرصة للسفر الى جهتكم اذ لا يهمنا الان شيء الا مشاهدتكم وانما تأخرنا الان عن السفر لعدم وجود اخينا جبرائيل اذ نريد ان يكون السرور جامعاً حد النهاية . ثم ارجون من الان وصاعداً ان تعاملوني كاحد اولادكم والشكر كل الشكر لحسن مزاياكم التي وجدتها

في هذه العائلة الكريمة التي اتشرف باهداء احترامي الفائق لجميع افرادها والرب يديمكم بسلام

الداعية

عقيلة ولدكم الاصغر

اليزا جيدا

صح — سيدي. احببت تصوير هذا بيدي ( وانا لا اخفي اجهل اللغة العربية تماماً ) نقلاً عن الصورة التي ترجمها لي اسبير يدون عن تحريري الذي كنت قد كتبته قصد ارساله بالانكليزية فتسهيلاً لقراءته قد اتخذت هذه الصعوبة بياناً لما لكم عندي من المقام السامي والاحترام

## ﴿ الفصل الثلاثون ﴾

### رجوعها الى بتسبرغ . عائلتها

بعد ان قضى **اسبيريدون** وعروسه شهر العسل في نيويورك عادا الى بتسبرغ واقاما في هناء يتمتعان في عيشتهما السعيدة بما ينسيهما المتاعب والصعوبات السابقة . وقد حاول اخوة **اليصابات** مضايقتهما بالدعاوي المالية فكان **اسبيريدون** يقابلهم بنشاط وقوة ويقف في وجههم وقوف صاحب الحق القادر فلم يفلحوا في واحدة من دعاويهم لان **اليصابات** سلمت كل امورها الى حكمة زوجها وجعلته القيم الاصيل على كل ما تملكه الامر الذي زاده قوة على مقاومة اخوتها وزاد هؤلاء حنقاً وغضباً . وظلت الدعاوي بين الفريقين تشغل المحاكم والمحامين الى سنة ١٩٠٣ واذ ذاك انتهت جميعها على ما احب **اسبيريدون** وقرينته اذ ضجر اخوتها من المقاومات العنيفة والخسائر العظيمة التي تكبدوها بدون ادراك فائدة

وفي غضون ذلك بيعت املاك اخوتها بالمزاد ولمزيد غضبهم كان **اسبيريدون** في مقدمة المشترين فاشترى اكثر الاملاك واجودها موقعاً وهذه الاملاك التي اشتراها ما لبثت ان ارتفعت اسعارها ارتفاعاً عظيماً حتى ان **جامس** لما رأى ان اعمال

**اسبيريدون** قد كلله النجاح المالي الذي كان هو يرجوه له انه ندم كثيرًا واستاء بالاكثر ولكن لم تبق حيلة في يده فاضطر ان يلزم السكون وان يرى اخته سعيدة في زواجها مرتاحة مع زوجها محبوبة مكرمة منه خلافًا لما توهمه وما ادّعاه

ولما ظهر للعموم ان **اليصابات** اصابت نصيبًا مشكورًا في زواجها ندم اخوتها على سوء تصرفهم السابق وخصوصًا **وليم** الذي اراد مصالحتها واستئناف علاقات المودة فذهب الى محاميها المستر **برون** وقال

— انا نادم كثيرًا على ما فعلته مع اختي واخجل ان اقابلها فبصفة كونك المحامي عنها ابلغها بواسطتك اسفي وكدري

ووليم هذا توفي على اثر تلك الحوادث فلما مات ذهبت **اليصابات** وزوجها الى منزله لتعزية ارملته التي قالت **لاليصابات**

— ان زوجي المسكين شعر في اواخر ايامه بالندم العظيم على ما جناه وكان ينوي ان يزوركما حالما يشفى وان يمحو بانعطافه الاتي تاثيرات تصرفه السابق

واما **روبرت** فانه ندم ايضًا ولكنه بقي حانقًا على **اسبيريدون** وكان يقول

— لست انسى ذلك المشهد المؤثر الذي يزعجني كل ايام حياتي يوم رايت اختي جاثية امامي باكية تتوسل اليّ ان اشفق عليها وانا

قاسٍ كالصخر سامحني الله

ثم ان اخوتها ابلغوها انهم يودّون مقابلتها واستئناف العلاقات النسبية ولكنهم اشترطوا ان لا يكون ذلك مع اسبير يدون بل معها وحدها فاجابتهم هذه المرأة الفاضلة

— اذا كان اخوتي لا يريدون زوجي ايضاً فانا لا اريد مودتهم لان لي من اخلاق زوجي وعنايته ومحبته ما يقوم مقام محبتهم ومودتهم

## ❋ الفصل الحادي والثلاثون ❋

### المرأة الفاضلة من يجدها . ثمنها يفوق اللآلي
### كيف دامت محبة اليصابات لزوجها

مضى على الزواج الذي كان سعيدًا عدة سنوات وكل يوم يزيده هناء وسعادة كأن الله اراد ان يبرهن لاخصام الزوجين ان زواجهما كان مباركاً وان وفاقهما كان مقدورًا

وقد علم القارىء ان **اليصابات** ذات ثروة طائلة وانها تمكنت من استرجاعها من اخيها وصارت مالكة لها حرة فيها فبعد ان ارتاحت من المتاعب وبدأت تتمتع بالهناء وتشعر بحنان زوجها وتقدر مودته وبعد ان رات من تعلقه بها ومعيشته المادية ورزانته ما اكد ثقتها به ارادت تؤكد له وللعموم انها اعطته اثمن ما تملكه المرأة وهو قلبها فبالتالي ارادت ان تعطيه حق التصرف في املاكها واموالها وان يكون الاصيل لا الوكيل فقط فلما فاتحت محاميها بما ارادت وانها تريد نقل كل ثروتها الى اسم زوجها وان تطلق يده في التصرف عارضها المحامي من وجهة قانونية حرصاً على راحتها وراحة زوجها وخوفاً من ان يستأنف اخوتها اضطهادها والقاء المصاعب في طريق زوجها ذلك انها كانت قد اعطت تلك الاموال والاملاك نهائياً

بوجب اوراق قانونية لاخيها جامس فاذا كرّرت الان اعطائها الى زوجها استطاع اخيها ان يزعجها بمحاكمات وقضايا لا فائدة منها الا الخسائر والقلق وقال — في وسعكِ ان تجعلي زوجكِ بصفة قانونية وكيلكِ والمدير لاشغالكِ فيكون له حق الاصيل وهكذا فعلت وصار اسبيريدون المتصرف في كل ذلك وكان هو الذي يضع توقيعه على الحوالات واوراق المبيع والمشترى على أن الامر لما اتصل باخيها جامس ساءه كثيرًا وغضب غضبًا عظيمًا واضمر الشرّ لصهره متى استطاع

وحدث اثناء ذلك حصول معاملة مالية بين اسبيريدون نيابة عن زوجته و بين جامس اخيها في امر مبيع املاك في بادن والقيمة المستحقة لاليصابات كائنة في حوزة جامس فارسل اليها العلم بها وانه مستعد لدفع المال لها واغتنم الفرصة لتكدير صهره فكتب بحروف واضحة بحبر ازرق على ظهر العلم ما ياتي

« اذا لم يكن الامضاء على هذه الحوالة قانونيًا صحيحًا لا تدفع القيمة »

واراد من هذا الاحتياط ان تضطر اليصابات نفسها الى وضع توقيعها بالذات وليس توقيع زوجها . فلما اطلعت السيدة الفاضلة الامينة على ما كتبه جامس جالت في عروقها دماء الشهامة والانفة من توجيه هذا الاعتداء على حق زوجها المعطى منها اختيارًا وللحال

استشارت محاميها فاوحى اليها ان تجعل زوجها وكيلاً فعلياً اصيلاً واذ ذاك يعتبر توقيعه فاسرعت الى اجراء ذلك ولما تم لها ما ارادت عمد اسبيريدون الى ورقة التحويل فوقع اسمه عليها بحروف واضحة هكذا « اسبيريدون جحا » وارسلها الى جامس فلما وصلت الحوالة الى الرجل استشاط غيظاً وازداد حنقاً واقسم ان لا يدفع المال . ثم استشار محاميه في هل هو مضطر قانوناً الى اعتبار توقيع اسبيريدون هذا ودفع القيمة فاجاب المحامي

— ذلك واجب عليك اذ هو زوج اختك ولها حق ترك كل شيء لعهدته فما عليك الان الا ان تدفع المال

فلما رأى جامس ان قد سقطت حيلته خبأ كبرياءه وكتم حقده ودفع المال صاغراً مضطراً .

ومن ذلك الحين ما برح اسبيريدون صاحب الامر والنهي في جميع المصالح يشتري ويبيع ويأخذ ويعطي ويمضي كل الشكات والحوالات باسمه الخاص وهكذا اثبتت اليصابات انها امرأة فاضلة وان ثقتها بزوجها لا حدّ لها كما ان حبهما المتبادل لا حدّ له

وحريٌّ بمثل هذين الروجين على ما ظهر من مودتهما واخلاصهما وتعلق احدهما بالآخر ان تتوفر لهما السعادة التي يتمتعان بها

## ﴿ الفصل الثاني والثلاثون ﴾

### الصديق · الصداقة الصحيحة · تقديرها

الداخل الى منزل **اسبيريدون جحا في سويسفال** يصل اولاً الى غرفة مرتبة هي ما يعبَّر عنه عندهم باسم « المكتبة » غرفة حسنة الرياش مشرفة على ارض خضراء يتيه النظر في فسحتها وقد ازدانت بالازهار وجدرانها بالرسوم الجميلة · رسوم اقارب واصدقاء · وقد استلفت نظري في هذه الغرفة رسم رجل جليل في اطار جميل وُضع في صدر الغرفة في محل الكرامة والاعزاز حتى لا يضيع النظر عنه ولا يفوت كل زائر أن يراه · فعلمت من وجه الرجل انه اميركي وكنت قد رأيت رسم والد **اليصابات** فهذا ليس والدها ومن شكله الاميركي علمت انه ليس رسم والد **اسبيريدون** ومن عادة الناس ان يضعوا في صدر مجالسهم ومحلات الاكرام من منازلهم رسوم الوالدين اذ ليس اعز منهما ولا افضل · اذن من هو هذا الرجل الذي جعله اسبيريدون وامرأته في مكانة الابوين

ثم قيل لي انه المرحوم **هنري جونز**

اذ ذاك علمتُ من هو · اذ ذاك ادركتُ منزلته وفهمت كما يفهم القاري السبب الذي من اجله جُعل هذا الرجل في هذا المقام من

المنزل فقد اتخذ حبه ارفع مقام من فؤادي الزوجين

واذ ذاك ادركتُ ان اسبيريدون وقرينته يقدران الفضل والمعروف والصداقة الصحيحة قدرها

فان قارئ هذا الكتاب يعلم ما فعله هنري جونز من الفضل وما ابداه من المساعدة وكيف انه اخذ بيد الشاب السوري الغريب فكان له ابًا واخًا ونصيرًا . كان اعظم من كل ذلك . يوم رآه غريبًا في ارض غريبة لا معين له تجاه اخصامه الاغنياء الاقوياء يوم بسط اليه يد المعونة واعطاه كل نفوذه العظيم . يوم قال لمحاميه المستر بورت قولاً يستحق ان يسطر بماء الذهب . بل قد سطر بحروف من الحمد والتقدير على قلب الشاب السوري

اذ قال له

— يامستر بورت سر في دعوى اسبيريدون واذا انفقت عايلة فيلبس ريالاً في اضطهاده فانا مفوض اليك ان تنفق عشرة ريالات في سبيل الدفاع عنه

وانت تعلم بعد الاطلاع على حوادث هذه القصة انه لولا مناصرة هذا الرجل الشريف الغني الواسع النفوذ ما استطاع السوري خلاصًا من ايدي اعدائه . فرحم الله رجلاً عرف الفضيلة الكبرى بجرى بموجب وحيها الا وهي فضيلة الاخذ بعون الضعيف المستحق ومساعدة الغريب المظلوم

وقد عرف اسبيريدون جيدا فضل هذا الرجل عليه فظل معترفاً لمكارم اخلاقه حريصاً على مودته كل حياته حتى اذ توفي الى رحمة الله منذ حين كان اول من بكى على جثته · واول من اسف على افول بدر فضائله · بل انه كان اول من حمل الزهر على ضريحه ونثر مع الورد دموعاً هي بخار العواطف القلبية

وقد توفقت اثناء زيارتي بتسبرغ الى معرفة نجله الاكبر المستر وليم جونز فرأيت منه رجلاً فاضلاً يفتخر بالاسم الشريف الذي خلفه له والده ولما اظهرت شواعر شكري لما فعله والده مع مواطني قال

— ان ابي لم يفعل ذلك مع اسبيريدون الا لانه رآه اهلاً لكل مساعدة ولانه شعر حقيقة انه مظلوم · وجيحا صديق قديم نقدر صداقته · ووالدتي وانا لا نزال نعجب بما ابداه ولا يزال يبديه مع عائلته من تقدير مساعدة ابي له مما يدلك على حسن ظن ابي به · فان الصداقة لا يبقى تأثيرها على الغالب الا في القلوب الشريفة

رحم الله الرجل عداد حسناته انها كانت لا تحصى بل كانت مؤلفة من حسنات لا تشوبها سيئة

ومما يذكر في هذا المقام انه لما ولد للعروسين ولدهما الثاني سمياه هنري تبركاً باسم هذا الرجل الشريف

—*****—

## ❊ الفصل الثالث والثلاثون ❊

### الاصدقاء — الاعداء

جزى الله الشدائد كل خيرٍ ولو كانت تغصصني بريقي
وما شكري لها الا لاني عرفت بها عدوّي من صديقي

ان رجلاً جرت له كل هذه الحوادث الخطيرة في بلاد غريبة لا يمكن ان يخلو تاريخه من صفاء. فهو مثل سماء تكون تارة سوداء ملبدة الغيوم وتارة صافية نقية تشرق فيها النجوم

ومعلوم ان في بتسبرغ محل هذه الحوادث عدداً غفيراً من السوريين الذين شهدوا اكثر حوادث هذه القصة ووقفوا على دقائقها وحضروا مواقعها وقد علمت من تفاصيلها ان سوريًا اساء الى موضوع القصة في مراكز عديدة فكان نصير اعدائه عليه . كان يرميه بنبال الحسد واللؤم. كان يسعى وراء عرقلة مساعيه . كان يضع العثرات في سبيله حتى زاد صعوباته واكثر اضطهاداته . ولست اذكر له اسمًا صريحًا فان في نجاح اسبيريدون وفلاحه وادراكه ما اراد ووجوده حتى الان في بحبوحة الراحة والهناء اعظم عقاب لعدوه واشدّ قصاص لخصمه الذي اهان شخصيته وانزل من كرامة ذاته ودنس وطنيته بعدائه لوطنيه الذي ان لم يفاخر بمساعدته والاحسان اليه فهو يفاخر

بانه لم يسيء اليه ولكن هي النفس امارة بالسوء تستحق الشفقة لا الانتقام

وكما وجب تشهير سيئات المسيء لاق ايضاً اعلان واشهار حسنات كريم فان بعض السوريين كفروا بحسن تصرفهم وسلامة نيتهم وشرف نفسهم عن كل سيئات الاخر اريد بهم الخواجه ابرهيم جرجس غرزوزي والخواجه اسحق صراف الذي لا يزال مقيماً في بتسبرغ وما برحا من اصدقاء اسبيريدون وعائلته ولا يزالان مذكورين في هذا البيت بمكارم اخلاقهما وحسن صفاتهما واخذهما بعون ابن وطنهما

ان العالم مشهدٌ عام والحوادث روايات تكون تارة محزنة وطوراً مضحكة والناس شهود . فهم ينظرون الى ممثل الدور الشريف ويقولون — مبارك الكريم جزاء حسن مباديه . ثم ينظرون الى ممثل الدور السافل ويقولون باسف — ان الضرب في الميت حرام

—***—

## ﴿ الفصل الرابع والثلاثون ﴾

برهان صحة هذه الحوادث

( من مؤلف الكتاب الى موضوعه )

نيو يورك في ١٥ آب سنة ١٩٠٤

حضرة الماجد الشيخ **اسبيريدون جحا** المحترم

بعد السلام ابدي ان خبر الحوادث الكثيرة التي حدثت لكم قبل زواجكم اتصل بي وفحصته وسمعته مفصلاً . فكل تلك الحوادث الغريبة والمدهشة التي لم اتصوّر حدوثها في عصر الحرية وبلادها حرّكت فيّ عواطف الكاتب الذي متى رأى الحوادث اراد تصويرها صورة قلمية عبرة وذكرى كالشاعر يرى المشهد الجميل فيرسمه شعرًا وعليه كتبت الحوادث المذكورة في قالب حكاية وارجو ان لا يكون قد فاتني شيء من حقائقها .

( سليم سركيس )

## — الجواب —

( من موضوع الكتاب الى موَّلفه )

سويسفال في ٢٥ اب سنة ١٩٠٤

حضرة الماجد سليم افندي سركيس المحترم

علمتُ من تحريركم ما عزمتم عليه من نشر كتاب « القلوب المتحدة في الولايات المتحدة » فارجو ان لا تتجاوزوا فيه الى شيء مما يستنكر في معالجة مثل هذه المواضيع . واذا كنتم قد رأيتم موافقة نشره فلا سبيل لي الا الشكر . على انني اتخذ هذه الفرصة لاقول ان السعادة العائلية التي منَّ بها الله عليَّ كانت نتيجة المودة الصادقة التي شعرنا بها انا وامرأتي منذ الساعة الاولى التي تقابلنا فيها . واوكد ان الزواج المختلط يؤدي الى السعادة متى اتفقت فيه اميال الفريقين على جعل المودة اساساً للمعيشة وارجو ان اقوم بكل واجب نحو زوجتي العزيزة واولادي الاعزاء جداً واقبلوا مزيد احترامي

( اسبيريدون جحا )

From the author to Mrs. S. J. Jeha

S. S. SARKIS
118 W. 64th. St.
New York August 15 Th. 1904

Dear Mrs. Jeha

During my short but most enjoyable stay with you at Swissvale, I have been very deeply impressed with the happiness of your union with Mr. Jeha

It is so seldom that one has the pleasure of Contemplating an ideal marriage, and being acquainted, as I am with the many obstacles you both have had to overcome to gain your well-deserved happiness, I am tempted to perpetuate in book-form what appeals to me as a very beautiful exemplification of the inevitable ultimate victory of true love over all lesser things

I hope the idea may not be displeasing to you, and tha you will permit this tribute of the very sincere and respect ful admiration I feel for such a noble wife and mother.

My best wish for you is that you may always retain your present happiness

YOURS VERY TRULY
S. S. SARKIS

نيويورك في ١٥ اب ١٩٠٤

حضرة السيدة اليصابات جحا المحترمة

في اثناء زيارتي القصيرة لسويسفال التي تمتعتُ فيها بالطافكِ ادركتُ السعادة التي تشمل زواجكِ ولما كان يندر للانسان ان يتمتع بمشاهدة قران سعيد توفرت فيه اسباب الهناء واذ وقفتُ على العقبات العديدة التي تعديتماها لادراك سعادتكما التي تستحقانها رأيت ان اضع في كتابٍ تلك الحوادث التي هي مثال جميل لفوز الحب الصادق وارجو ان يصادف عملي رضاكِ وان تكوني راضية عن دليل اعجابي الفائق لزوجة شريفة وأمّ فاضلة واتمنى لكما دوام سعادتكما الحاضرة

الداعي (سليم سركيس)

Swissvale, Pa. August 25 th. 1904

Dear Mr. Sarkis

Your visit is very pleasantly remembered by all of us, and our only regret is that it was necessarily so brief. We are, however, hoping that you will come to us soon again, and I need not till you how welcame you are always, I thank you for your kind words in regard to my marriage. It is indeed a happy one.

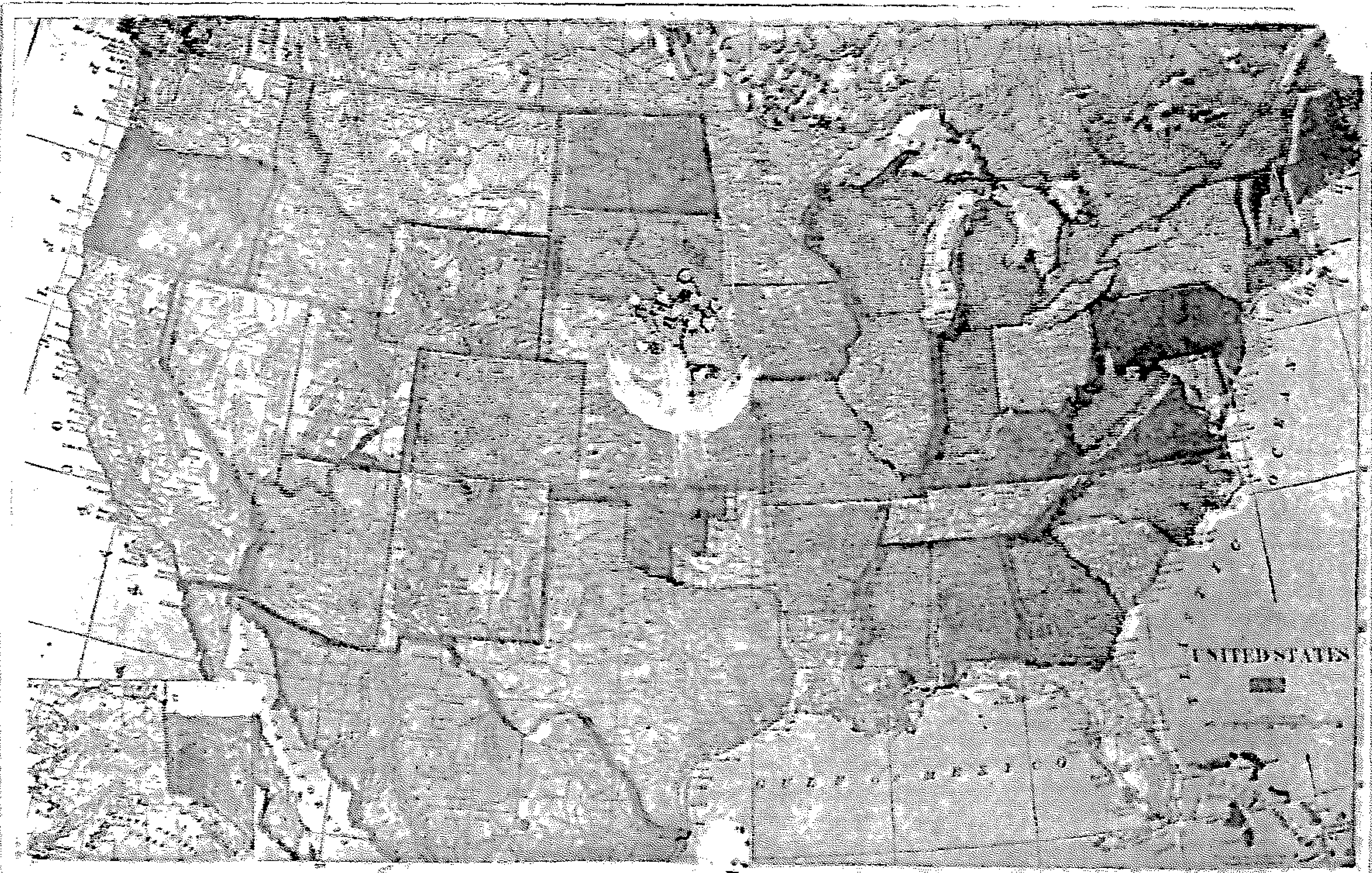
As for the trials and persecutions which my husband and I were forced to endure, it is true they have been many, and, at times, very hard, but always the darkest moments have been illuminated by the sunshine of a perfect love, and it seems almost an ingratitude to dwell upon them since it has pleased God to bring them to such a happy culmination.

A joy like ours connot be too dearly bought, and we have come to learn that ( God writes straight on crooked lines ) Indeed, when I think of my dear husband and children. I am ever on my knees before Him whose gift they are. I feel that no one who has known what Love is, Could do aught but worship the creator of so fair and beautiful a thing. I cannot describe the comfort and peace it has brought into my life. It supplies a reason. for all things, it brings a sudden understanding and appreciation of that which before seemed to have no explanation or use; it glorifies commonplace things, lending to them its own heavenly lustre, in short; it is Heaven itself

Forgive me, dear friend, for speaking at such length of my great happiness. I cannot help myself any more than a bird can restrain its joyous song. Since my husband is so dear to me, I must always hold his country men in the wormest esteem, and it is my ambstion and intention to have our dear children grow up in their father's country, a hope which I trust may soon be on the way to its realisation with kindest regards

YOURS SINCERELY

ELIZA JEHA




القلوب المتحدة في الولايات المتحدة

1

سو يسفال في ٢٥ اب سنة ١٩٠٤

حضرة سليم افندي سركيس

نحن جميعنا نذكر زيارتكم بمزيد السرور ونأسف انكم اضطررتم الى جعلها قصيرة على اننا نعلل النفس بامل تكرارها العاجل ولا حاجة الى بيان ترحابنا بكم. اشكر لكم كثيراً كلماتكم اللطيفة عن زواجي. فهو بالحقيقة سعيد واما المتاعب والاضطهادات التي احتملتها مع زوجي فلا انكر انها كانت كثيرة وكانت احياناً قاسية شديدة على ان ظلمات اشدها سواداً كانت تستنير بشعاع شمس المحبة الصحيحة حتى لقد يتراءى لي ان التأمل فيها كفران. منذ شاء الله تعالى ان تؤدي الى خاتمة سعيدة. ان كل عناء يحتمل في سبيل اسرار ستل سرورنا وفرحنا وصرنا نعتقد ان الله يكتب كلمات الاستقامة على السطور المعوجة. والحق يقال انني كلما ذكرت زوجي واولادي الاعزاء اجثو شاكرة الله الذي منحني مثل هذه البركة واشعر ان كل من ادرك معنى الحب لا يستطيع الا تسبيح الخالق على هذه العاطفة الجميلة عاطفة المحبة — فانها توجد بواعث كل الاشياء وتؤدي فجأة الى ادراك وتقدير ما لم نكن من قبل ندرك معناه وغايته وتصير الاشياء العامة مجيدة مانحة اياها بهاءها السماوي و بالاختصار فالمحبة هي السماء بذاتها

اعذرني ايها الصديق اذا اطلت في وصف سعادتي العظيمة

فانني مثل الطير لا يملك الامتناع عن الانشاد والزقزقة · ومنذ كان زوجي عزيزًا جدًا لديّ فانا اكرم واعتبر كل ابناء وطنه وغايتي واملي ان ينشأ اولادنا الاعزاء في وطن ابيهم وهو امل ارجو تحقيقه عن قريب

الداعية

اليصابات جحا

---

## عند الفراغ

سويسفال بنسلفانيا في ٢٣ ايلول ١٩٠٤

الى جناب الشيخ اسبيريدون جحا بمناسبة انقضاء زيارة

اني قضيتُ لديكم بعض ايامِ ۝ التي بها كل اعزاز واكرام

رأيتُ من زوجة الشيخ الكريم سنا ۝ نورَ الفضيلة زاهٍ ضوءُه نامِ

ومن اخيهِ ولاءً ليس يدركهُ ۝ شكري وان كان شكري بحره طامي

ومن بنيهِ جمالاً زانهُ ادب ۝ يأتيهم الحب طوعًا دون الزام

ومن عنايتهِ بل من مودتهِ ۝ بل من مكارمه بل خلقه السامي

ما لستُ اشكرهُ اذ لستُ احصرهُ ۝ ولا يحاول الا عند الهامِ

مبارك بيتهم والله يشملهم ۝ بفضلهِ خير ايام واعوامِ

سليم سركيس

---

الإشراف الفنى : هـــشــــام نـــوار

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوعة

الغلاف: هشام نوار

المجلس الأعلى للثقافة

*** تراث الرواية العربية ***